ثقافتان من العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية

عبدالرزاق أحمد راشد المعمري

ملخص: أن أوجه المقارنة التي أجريت بين مواد العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية عزّزت من الاستنتاجات التي قادتنا في الماضي إلى فرز ثقافتين :

الأولى ثقافة الشظايا ، ومن خصائصها : طرق التشظية وانعدام الفخار والمنشأ المحلي والعلاقة المتبادلة مع الجانب الإفريقي. وتقسم هذه الثقافة إلى : العصر الحجري الحديث المبكر الذي تميّز بالرؤوس الحادة ورؤوس السهام والتهذيب المرقّق من الجهتين ونمط الصيد والجمع. والعصر الحجري الحديث المتأخر الذي تميز بالإنتقال إلى الرعي والزراعة مع الاحتفاظ بالصيد كمصدر ثانوي. ومن خصائصه في المنطقة الصحراوية روؤس السهام المعنّقة، ولقد ظلّت أدوات الصيد والتهذيب المرقّق مستمرة في المنطقة الصحراوية والهضاب الشرقية من جنوبي الجزيرة العربية. وينقسم هذا العصر (العصر الحجري الحديث "الصحراوي") في المنطقة الصحراوية إلى مرحلتين : مبكرة ومتأخرة.

أمّا الثقافة الثانية، فهي ثقافة الشطائر التي انحدرت من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار، الذي كان في وادي الرافدين وبلاد الشام. ومن خصائصها طُرق التشطير ونمط الصيد والجمع وانعدام الفخار. وتركزت هذه الثقافة في الأجزاء الشمالية والشرقية، وقليل منها في المناطق الشمالية الغربية والوسطى من الجزيرة العربية. وقد توقّفت نشاطات الثقافة المذكورة في الجزيرة العربية خاصة في الخليج العربي عندما حلّ محلّها العصر الحجري الحديث الصحراوي من جنوبي ووسط الجزيرة العربية.

Abstract. *In this paper we describe the two Neolithic cultures of the Arabian Peninsula. The characteristics of the first culture - flake producing culture - are: chopping of flakes and dominance of flat cores. The culture is divided into the Early Neolithic and the late Neolithic, Which has five local variants. The Late "Desert" neolithic also has two periods. The Flake Culture had local origin and kept in touch with northeastern Africa.*

The second culture is a blade producting culture, Which took its source from the PPN of the Levant and Mesopotamia. The homeland of Blade Culture is in the eastern and the northern parts of the Peninsula; some of the tools are found on the northwestern edge and a few of them in the Central part.

There was an absence of pottery in the Arabian Neolithic because of the economic structure that was based on hunting and food-gathering. The transformation to the productive economy occurred at the Late Neolithic .

تميز العصر الحجري الحديث في عدد من مناطق الشرق الأدنى بالرعي والزراعة والفخار، ووفقا لذلك صار من المألوف أن ينظر إلى العصر الحجري الحديث في المناطق الأخرى من خلال توفر جميع تلك العناصر فيها.

ومن الطبيعي أن يتوقع الباحث في بداية بحثه وجود هذه العناصر مجتمعة في الجزيرة العربية، خاصة وأن الجزيرة العربية مجاورة لمشاعل الثقافات الزراعية المبكرة في منطقة الشرق الأوسط.

إلاّ أنه وعند الدراسة الميدانية تتكشف أمام الباحث ظواهر غير متوقعة، تمليها خصائص محلية متعددة، من هذه الخصائص وجود ثقافتين من العصر الحجري الحديث، هما موضوع هذا البحث.

تعد مسألة تحديد الثقافات الأثرية في أي عصر من العصور مسألة من المسائل التي تطرح عادة عند مستوى محدد من البحث، لأنه إذا أمكن تحديد وفرز ثقافة أثرية في منطقة جغرافية معينة يمكن من خلالهما التعرف على جوانب متعددة من حياة المجتمعات البشرية

وطرق معيشتها في المرحلة أو العصر المعني بالدراسة في تلك المنطقة، فعلى أقل تقدير قد يتسنى للباحثين استعادة صور من طبيعة العلاقات والتفاعلات الثقافية بين تلك التجمعات ، مثل طبيعة الاستيطان وتوزيع المستوطنات، من خلال اقتفاء المواد الأثرية أفقيا في الأطر الجغرافية، وتطور أو نكوص المنجزات المادية للمجتمعات البشرية عبر تتبع أشكال وطرق تجهيز تلك المواد، رأسيا داخل حدود الثقافة المادية أخذا بعامل الزمن.

وبالقدر الذي يتم فيه فهم محتوى الثقافة الأثرية بشكل أعمق تتوفر بنفس القدر شروط أفضل لعكس نماذج مختلفة من حياة تلك المجتمعات.

ويتركز محتوى هذا البحث بنفس الاتجاه، من خلال استعراض موجز لأهم الخائص التقنية والنوعية لمعثورات حجرية من مواد العصر الحجري الحديث في جنوبي الجزيرة العربية ومقارنتها مع معثورات أخرى تعود إلى ذات الفترة في الأجزاء الوسطى والشمالية والشرقية من الجزيرة العربية، وهي المواد التي نتج عنها في السابق تحديد وفرز ثقافتين أثريتين للعصر الحجري الحديث في شبه الجزيرة العربية واستبيان أسس مقوماتهما الاقتصادية الرئيسة وتحديد رقعة انتشارهما على أراضي شبه الجزيرة المذكورة .(Rashed 1993b: 18; 1993c: 20 , 291-293) أما الآن فسأقف بذلك الاستعراض النوعي والتقني عند أوجه المقارنة بين خصائص تلك الثقافتين في حدود الأطر الآنفة الذكر مؤكداً في الوقت نفسه الشروط التي اقتضتها ضرورة الفرز لهاتين الثقافتين، ومتناولاً إلى جانب ذلك مسائل أخرى ذات علاقة.

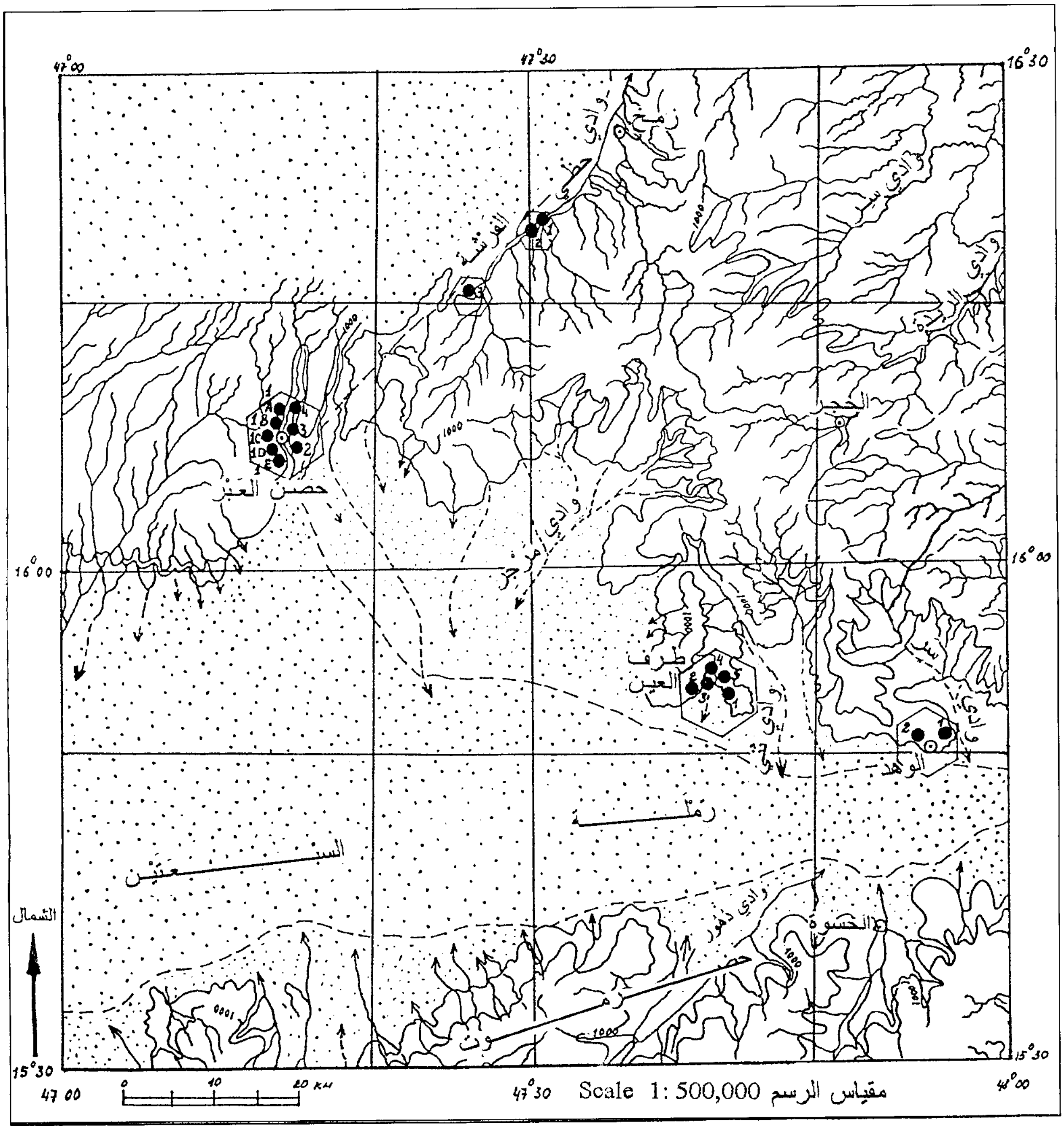
وما سيقدم في هذا الجانب مبني على دراسات لنا[1] شملت ١٥٠٠ قطعة حجرية، تم العثور عليها في أعوام مختلفة ابتداءً من ١٩٨٩م، منها مواد اكتشفت في ١٨ موقعاً أثرياً في منطقة (العَبْر) بصحراء الربع الخالي (خارطة ١) وخمس مجموعات حجرية من العصر المذكور محفوظة في المتحف الوطني بمدينة صنعاء وفي قسم الآثار بجامعة صنعاء، جمعها هواة الآثار من منطقة مأرب ورملة السَّبْعَتَيْن، بالإضافة إلى استنتاجات مبنية على كثير من المشاهدات المتكررة والدراسات الأولية لمواقع وملتقطات سطحية أثرية من أماكن متفرقة من الأراضي اليمنية بما في ذلك هضبتي المَهْرَة وحضرموت، وعلى فحص عدد من المواد في المتاحف اليمنية (لوحة : ١).

كما يستند البحث في استنتاجاته على ما تم التوصل إليه من نتائج تمخضت عن تحليل ونقد للأبحاث الأثرية التي أجريت في موضوع العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية منذ ثلاثينيات القرن العشرين حتى زهاء النصف الأول من تسعينيات القرن المذكور، إلى جانب معلومات أخرى ذات صلة بدراسة العصر المذكور خارج إطار الجزيرة العربية.

وهنا أنوه بذكر دراسة تحليلية مفصلة لهذه المواد والمصادر قدمت في فترة سابقة (Rashed 1993b; 1993c) تناولت جوانب مختلفة من تاريخ العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية، يمكن الرجوع إليها عند الرغبة في الحصول على معلومات أكثر تفصيلا خاصة فيما يتعلق بتوصيف أنواع المواد الأثرية وطرق تحليلها وجداول للإحصاء والمقارنة بين تلك المواد في كل موقع على حدة... الخ.

وعند النظر في أوجه المقارنة بين الثقافتين سيتم الاستعانة أيضا ببعض الاستنتاجات المنبثقة من تحليل لمواد حجرية وجدتها على هضبة مدينة شبام - سُخيم - الغراس، الواقعة هذه المدينة على بعد ٢٥ كم شمالي مدينة صنعاء وفي حوض صنعاء والهضبة الغربية بشكل عام (المعمري ١٩٩٦م).

هذا ما يخص الثقافة الأثرية التي تمركزت في جنوبي ووسط الجزيرة العربية، أما معالجة أوجه المقارنة في الثقافة الأثرية الأخرى التي وجدت على أرض الجزيرة أيضا فإن دراستها تستند إلى مواد نشرت في فترات مختلفة ابتداء بعمل البعثة الأثرية الدينماركية في شرقي الجزيرة العربية عند مطلع الخمسينيات من القرن العشرين (Kapel 1967) حتى آخر عمل أصدرته البعثة



⊙ تجمعات سكانية . ● موقع أثري. طرق غير معبَّدة .

مجموعات مواقع أثرية . هضاب . أودية جافة .

خـارطـة ١ : مواقع سَطْحية ذات مواد مختلطة من العصر الحجري الحديث
وعصور حجرية أخرى، أُكتشفت في منطقة العَبْر في ١٩٩٠م

الفرنسية في أواخر الثمانينيات من القرن المذكور (Inizan: 1988) دون أن أغفل ما جاءت به حولية "أطلال" الآثارية في هذا الموضوع التي أثرت بموضوعاتها المترجمة المكتبة العربية منذ أن صدر العدد الأول منها في ١٩٧٧م. مع أن موضوعاتها مازالت إلى حد كبير لم تتجاوز إطار التقارير الأولية.

١- خصائص المصنوعات الحجرية للعصر الحجري الحديث في جنوبي الجزيرة العربية ووسطها

يتم إظهار الخصائص التقنية والنوعية للمواد الأثرية عادة بطرق التحليل التقني والتصنيف النوعي.

وفي هذا الموضوع سيتناول التحليل التقني - متبعاً الطريقة التقليدية - نتائج دراسة المواد الحجرية السالفة الذكر من جنوبي الجزيرة العربية، على مرحلتين : مرحلة التفليق (Debitage) وهى المرحلة الأولى من عملية تجهيز الأدوات الحجرية التشذيب أو التهذيب (Treatment) وهى المرحلة الثانية والأخيرة في هذه العملية.

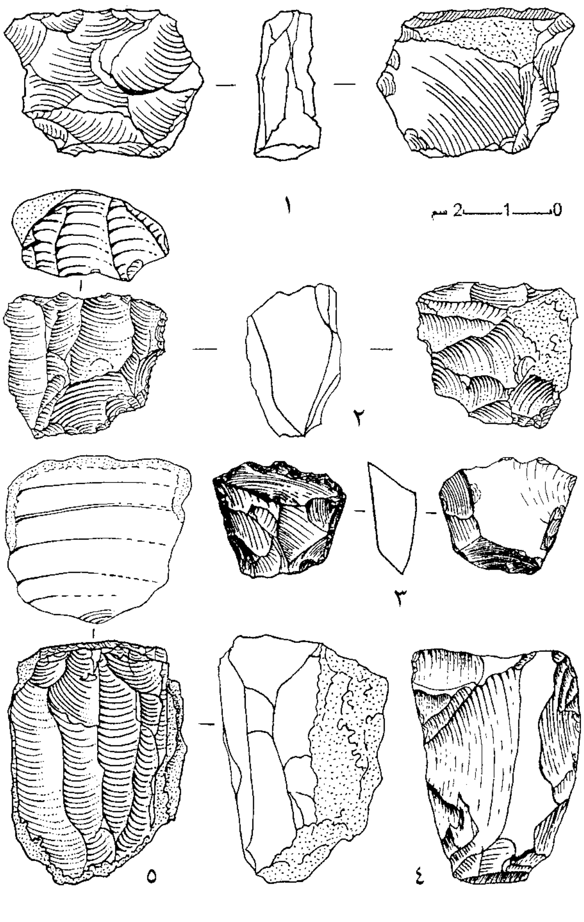
١,١- التفليق

أفادت طريقة الدراسة التقنية والتصنيف النوعي العام للمواد الحجرية أن الأحجار العنقودية أو المكورة الشكل (Nodule) هى أحجار سائدة الاستخدام في العصور الحجرية المختلفة، ابتداءً بالعصر الحجري القديم الأسفل وحتى المراحل المتأخرة من استخدام المواد الحجرية، وأن خام الصوّان (Flint) يعد الخام المفضّل لإنسان العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية (Rashed 1993b: 10-12; 1993c: 82)، حيث صار الصوّان منافساً الخام الجيري - الصواني (Chert) الذي كان يحتل مرتبة الريادة في العصر الحجري القديم، وأن النَّوَاة (Core) الأكثر تداولاً في العصر الحجري الحديث هي النواة المستوية أو المفلطحة (Flatcore) جهتها العاملة (شكل ١ : ١).

وإلى جانب استخدام النواة المفلطحة نجد عملية انتزاع الفلق (Spalls) المشظأة تمت أيضا من النواة شبه المنشورية (شكل : ١ : ٢) وأن ضربات التفليق كانت تسدد اتجاهات متوازية

(شكل ١ : ٥) وشبه متوازية في الغالب الأعم (شكل ١ : ٢) وأن وجود النواة المنشورية (Prismatic core) (شكل١ : ٥) التي تفلق منها الشطائر (Blade) الحجرية (شكل : ٣ : ٨) بأنواعها المختلفة ضئيل للغاية، أما النواة الأسطوانية الشكل التي تفلق منها الشطائر الحجرية على اتباع طريقة الضغط في عملية التفليق.

وعلى تلك النوى كانت تجهز في الغالب حجرة واحدة للتفليق أو قاعدة لطرق النواة (Striking Platform) (شكل ١: ٥,١)



شكل ١ : ١:٢:٥ نوى من موقع طرف العين ٣ الجهة الخلفية لمكيشط من مَطرة بنهم: ٤ مكيشط من شبام الغِراس.

وقد أكدت دراسة الفلق المستخرجة من النوى وجود تلك الظواهر التقنية أيضا في مرحلة التفليق،

وللتَّحقق من ذلك أكثر، أجريت دراسة إضافية، تركَّزت على المَسَاحِف[٢] الواقعة في الجهات الأمامية من الفلق المستخرجة من النوى، ثبت من خلالها سيادة النواة المفلطحة (Rashed: 1993c: 79-80, 160-164) جهتها العاملة (الفاعلة) السالفة الذكر، كما دلَّت تلك الدراسة الإضافية بصورة غير مباشرة على احتمال حضور نسبة ضئيلة جداً من النوى الأكثر عتقاً في تقنية العصر الحجري الحديث مثل النواة القرصية Dscoid و الليفالوازيةَّ Levalloi (السلَحُفائية الشكل)...الخ.

وعند تحليل الحُجَّرَات المتبقية على قواعد الفلق (شكل ٢ : ٦) تبينت أيضاً أن الحُجْرَة الملساء المجهّزة على النواة بضربة واحدة هي الحجرة الغالبة كذلك بين أنواع الحُجَّرَات الأخرى، ومن صفاتها الشائعة : السمك المتوسط المتراوح ما بين ١.٥-١سم، والشكل الممدود الشاغل تقريباً لكل المسافة الواقعة بين جانبي الفلقة، مع ميول بسيط إلى الجهة الخلفية من الفِلْقَة بمقدار يتراوح في الغالب ما بين ٩٠-١٠٠، وقد يصل هذا الميل في بعض الفلقات إلى ١١٠ وأحياناً الى ١٣٠ لكن ذلك نادر جداً.

ومن خلال تصنيف أنواع الفلق الحجرية ثبت أن الشظايا (Flake) تبلغ نسبتها ٧٠,٥٪، فهي السائدة بين الأنواع الأخرى (Rashed: 1993b: 194) وأغلبها فاقدة للنمطية (Rashed: 1993c: graphs: 1-16) ومن ذوات الحجم القصير نسبياً والجوانب غير المستقيمة بصورة تامة، وتحمل الجهة الخلفية في كل فلقة من تلك الفلق حَدَبَة (Bulb of percussion) بارزة نسبياً، فالحَدَبَة يصل حجمها في كثير من تلك الشظايا إلى حوالي ثلثي الفلقة أو أكثر من نصف طولها (شكل ٢ : ٦).

وعلى هذا الأساس فإن عملية التفليق أظهرت أن التقنية الرئيسة في إعداد المُؤن[٣] الخاصة بتجهيز أدوات العمل في العصر الحجري الحديث تمثلت بتجهيز الشظايا، وأن تفليقها من النوى تم بواسطة الضربات المباشرة بمفالق صلبة للغاية، أمَّا طريقة تشطير النواة بواسطة الضغط المباشر أو عن طريق الاستعانة بوسيط من المواد العضوية المَرِنة نسبياً، مثل العظام والقرون، فلم تستخدم في تقنية العصر الحجري الحديث، وإذا تم تسجيل بضع حالات من هذه العملية فستكون من الحالات النادرة.

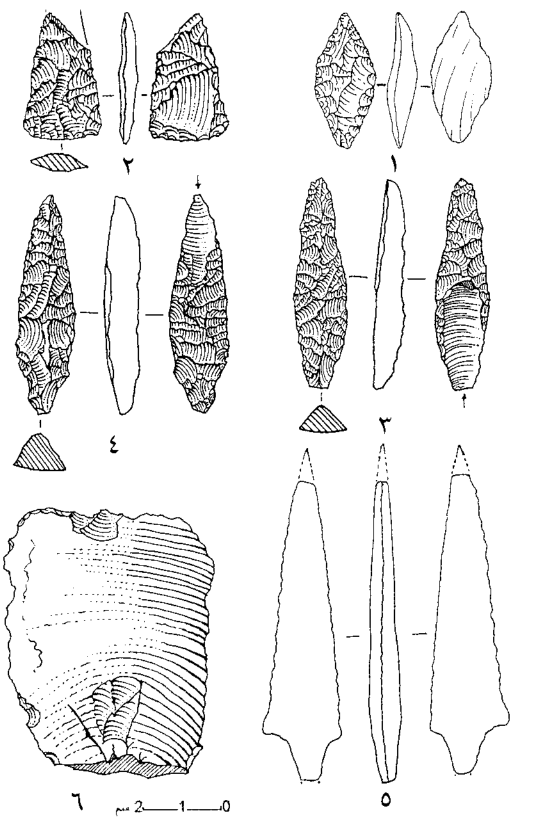
وبناءً على المواصفات المختلفة للنوى وللفلق المستخرجة منها تحددت بدرجة رئيسة السمات الأساسية لصناعة المواد الحجرية للعصر الحجري الحديث في جنوبي الجزيرة العربية، تلك المواصفات التي وجدناها بشكل عام تتطابق إلى حد بعيد مع نفس مواصفات تفليق المُؤن الحجرية في مواقع كثيرة وسط الجزيرة العربية، منها مواقع في المناطق الجنوبية (Zarins et. al: 1979: 19-21:p1.5: fig. 50-55,57-63) والجنوبية الغربية (Zarins, et. al: 1980: 17-20 pl.18a, 19d, 20b) والشرقية (Masry: 1974: 274:P1.5 fig. 28: 1,2, 7-10) وفي مناطق نَجْد، شمالي غربي الرياض (أبو درك وآخرون : ١٩٨٤ -١٠١- ١٠٢ : لوحة : ٩٩).

أمَّا مواد هذه الثقافة في صحراء الربع الخالي فقد لفتت أنظار الجيولوجين قبل الآثاريين وحتي مكافحي جراد الصحراء الذين كانو يعملون هناك (Bunker: 1953: Zeuner: 1954)، وهي ثقافة الشظايا (Flake Culture) (المعمري :١٩٩٥ : ١٠٨)، (Rashed 1993b: 18, .(1993c: 36, 270-298,299,306)

وتعد جملة الطرق التقنية المذكورة آنفاً المتَّبعة في مرحلة التفليق طرقاً محافظة من حيث المبدأ على كثير من التقاليد القديمة، وتختلف بقدر ملحوظ عن طرق التفليق لذات العصر الحجري الحديث في عدد من المناطق المجاورة في وادي الرافدين، وبلاد الشام (Cauvin: 1974; 1979a: 1979b: Copeland : 1979 : Bader: 1989: Bar-Yosef: 1980)

١,١,١- أسباب بقاء بعض الأساليب القديمة في تقنية الشظايا

بعد أن اتضح أن طرق التفليق في ثقافة الشظايا ظلَّت محافظة على بعض الأساليب القديمة، كان لابد من البحث عن الأسباب التي أدَّت إلى بقاء تلك الأساليب،



شكل ٢: ١-٥ رؤوس حادة ورؤوس سهام؛ ٦ شظية. ١،٥ من المتحف الوطني بصنعاء؛ ٦،٢ من موقع طرف العَين في البَر؛ ٤،٣ من المَهرة

بدءاً بالمادة الخام وطرق التفليق وعمليات التهذيب وأنواع الأدوات.

ولم يُغفل في هذا الجانب النظر في المواقع الأثرية وطبيعة الاستيطان وإعادة استخدام المواد القديمة في فترات زمنية لاحقة، ومن خلال ذلك تم التوصل إلى استنتاجات نرجح بأنها هي المسؤولة، بقدر كبير، عن أسباب بقاء تلك الأساليب وهي:

١- استمرارية نمط الصيد في العصر الحجري الحديث، الذي كان مسيطراً على الحياة المعيشية للإنسان في العصر الحجري القديم، حيث لم يؤدِّ ذلك النمط إلى ابتكار أنواع جديدة من الأدوات، مخالفة جذرياً لأدوات الصيد الرئيسة، بحكم عدم الاختلاف الجذري في نماذج الحياة المعيشية، خاصة في النمط الأساسي للحياة الاقتصادية، على الرغم من أن تجهيز أدوات العصر الحجري الحديث سار باتجاه تحسين وتحديث أنواع وأشكال جديدة مثل الرؤوس الحادة ورؤوس السهام المرقَّقة، التي لم تكن معروفة قبل العصر المذكور في الجزيرة العربية، إلا أنه وبصورة عامة، ظلَّت هذه الأدوات- من حيث المبدأ - داخل الإطار العام لأدوات الصيد التقليدية، وما طرأ عليها من تقدم ملموس، حدث في الطور الثاني من عملية تجهيز أدوات العمل، وبالتالي لم تكن هناك ضرورة حسب الاعتقاد، تضطر معها المَهَرَة من صنَّاع الأدوات إلى إحداث تغييرات جوهرية في نظم تفليق النواة.

٢- استخدام أسلوب الترقيق من الجهتين (ttouche Bfacial re) الأمامية والخلفية للرؤوس الحادة ورؤوس السهام (شكل ٢: ١ - ٤، شكل ٣: ١: ٧) التي اعتبرناها من السمات الملازمة للعصر الحجري الحديث في جنوبي ووسط الجزيرة، على الرغم من ملاحظة بوادر لهذا التهذيب ظهرت تقريباً إبان التوسُّع الكبير نسبياً للرؤوس الحادة ورؤوس السهام المبكرة، الذي لعب دوراً كبيراً في المحافظة على تقنية إنتاج الشظايا وأساليبها العتيقة، لأنه جعل الأداة تأخذ الشكل والحجم المناسبين استجابة لمتطلبات استخدامها على الرغم من خشونة المؤن الحجرية الناتجة عن عملية التشظية في طور التفليق.

٣- إعادة استخدام (Secondary use) المواد الأثرية القديمة، وهي ظاهرة بلغت نسبة عالية في فترات من تاريخ العصر الحجري الحديث (Rashed: 1993c:165-167,300) إلى درجة أن هناك مواد تكرر استخدامها مرات عديدة، وهذا من ناحيته يمكن أن يكون من العوامل التي جعلت إنسان العصر الحجري الحديث يعمل على إعادة إحياء بعض العناصر الثقافية القديمة، فالمواد القديمة التي تمت إعادة استخدامها تصل أحياناً إلى حوالي ربع كمية المواد المجمعة في عدد من المواقع التي تعرضت للدراسة في منطقة العَبَر (Rashed: 1993c: 167166)

٤- نوعية المادة الخام: حيث من المحتمل أن يكون استخدام بعض المواد الخام مثل الخام اللَّدن التركيب جداً، قد لعب دوراً محدوداً في المساعدة على إبقاد تقنية

الشظايا وأساليبها العتيقة سائدة في عملية التفليق، وهو استنتاج لم يُبْنَ في الحقيقة إلا على الحدس والملاحظة العينية وعلى الاستفادة من الدراسات التي أجريت على الخامات الحجرية من قبل باحثي علم الصخور (Petrograhy) ولم يبن على تجارب تطبيقية لهذا الخام من واقع الجزيرة العربية.

٥- الخاصية الثقافية المحلِّية التي فضَّلت استمرارية تجهيز الفِلقَ المشظأة في العصر الحجري الحديث كتقليد وراثي مستمد كما يبدو من العصور الحجرية السابقة، وللاستدلال على هذه الخاصية، يكفي أن نذكر أن كمية الفلقات المشظأة في المواقع التي نُسِبت إلى العصر الحجري القديم الأعلى، تفوق بكثير عدد الشظائر الحجرية (Amirkhanov: 1991: 266-312) إلى درجة أن تقاليد التشظية في جنوبي الجزيرة العربية (Di Mario: 1990: 84, 85, 92, 99, 100, 104: fig.96, 109 - 129) وفي أماكن كثيرة من تلك الجزيرة ظلّت تُتّبع أيضا في الفترات التي تلت العصر الحجري الحديث.

ولكن نعطي توضيحاً واستدلالاً أكثر، أكرر جزئياً ما جاء الفقرة 1.1 من حجم لصالح هذا العامل تتمثل في : أجود النواة المنشورية (شكل ١ : ٥) وشبه المنشورية (شكل ١ : ٢) وطريقة تسديد الضربات المتوازية (شكل ١ : ٥) وشبه المتوازية (شكل ١ : ٢) سُجِّلت في تقنية العصر الحجري الحديث كطريقة من طرق التفليق المنتظمة (Rashed 1993c: 160-163,358). إن هذا يعني أن أولئك المَهَرَة من حيث المبدأ، كانوا على قدر من المعرفة بأساليب التشطير، المخالفة لعملية التشظية، بما في ذلك كونهم على دراية بعملية الضغط وطريقة استخدام الوسيط أيضا، ذلك ما نجده دليلا في عملية الترقيق بالضغط (شكل : ٢ : ١ - ٤؛ شكل : ٣ شكل : ١-٦) وفي كثير من أساليب التهذيب (شكل ٢ : ٣-٤) ، مكتفيا بالقول هنا أن هذه العوامل - بالقدر الذي يمكن اعتبارها من الأساليب الرئيسة المساعدة على إبقاء بعض الأساليب المحافظة في عملية التفليق السالفة الذكر- يمكن اعتبارها من العوامل التي عملت على خلق تقنية متقدمة رفيعة المستوى في التهذيب.

١,٢- التهذيب

شهدت عملية تهذيب أدوات العصر الحجري الحديث في جنوبي ووسط الجزيرة العربية ازدهارا ملحوظا وتطورا متلاحقا (Rashed 1993c: 176) ابتداء بترقيق الأدوات من الجهتين، خاصة أدوات الرمي والقذف، التي ازدوج فيهما أسلوبا التهذيب المرقق بالطرق وبالضغط في الفترات المبكرة، والتهذيب بالضغط الذي ساد في الفترات المتأخرة من العصر الحجري الحديث (Rashed 1993a:31: 121993)

ويعتبر ظهور هذا النوع من التهذيب المرقق في حالة اقترانه بالرؤوس الحادة ورؤوس السهام (شكل ٢ : ١-٤؛ شكل ٣ : ١-٧) سمة ملازمة لدخول العصر الحجري الحديث جنوبي ووسط الجزيرة العربية، من جهة، ومن جهة أخرى، يعد هذا التهذيب، أمرا مهما في تحديد خصائص ثقافة الشظايا الحجرية في العصر المذكور في شبه الجزيرة العربية.

ومن الأساليب المهمة في الطور الثاني من عملية تجهيز معدات العمل التهذيب المسطر السائح أو المقلم (Fluting)، الذي انتشر في هضبة المهرة أكثر من أي مكان آخر تقريبا في الجزيرة العربية (شكل ٢ : ٣- ٤) (شكل ٣ : ١).

وهو تهذيب يلاحظ أنه نفذ في حالات كثيرة بطريقة الضغط المباشر على الأداة في الاتجاه الطولي لها، وذلك باستخدام أدوات مصنوعة يبدو من مواد عضوية، كما لا يستبعد أن تكون هذه العملية قد تحققت في حالات أخرى بواسطة الطرقة الخفيفة المحكمة على وسيط خلص بهذا الغرض، جهز ذلك الوسيط أيضا من المواد غير الصلبة.

وقد كان التهذيب المذكور ينفذ عادة على الجهة

الخلفية (شكل ٢ : ٣-٤؛ شكل ٣ : ١) وأحيانا على الجهة الأمامية من الأداة، بعد أن تكون تلك الجهة قد تعرضت بقدر ما لنوع آخر من التهذيب، وهو النقر (Retouche)، يتألف من نقرات، نجدها مفروشة على امتداد جانبي ذلك المسحف وعند نهايته أيضا.

وتبدأعملية التهذيب المسطر من الطرف العلوي متجهة صوب قاعدة الأداة (شكل ٢ : ٤ ؛ شكل ٣ : ١) أو على العكس من ذلك في الحالات النادرة، على أن تبدأ نفس العملية من الطرف الأسفل باتجاه الجزء العلوي في الأداة (شكل ٢ : ٣) هادفة تلك العملية - حسب ما نعتقد - إلى تفعيل الأدوات السالفة الذكر إلى أقصى حد ممكن.

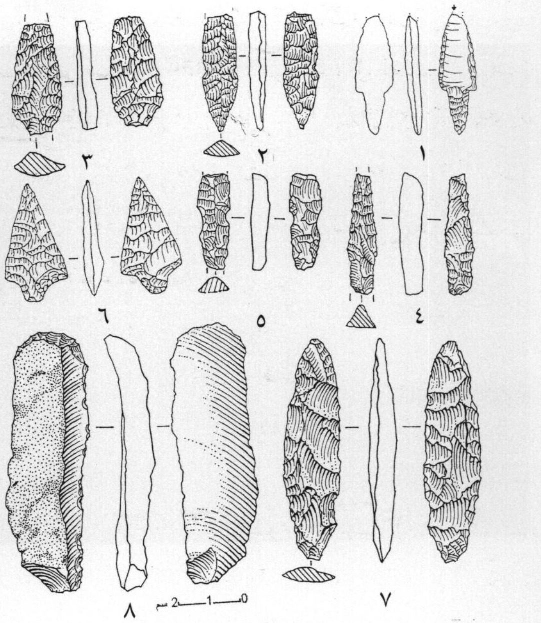
هذا التفعيل، وفق تفسيرنا له، يتمثل في تخفيف الوزن، وتقليل مقدار الحجم، اللذين لاشك بأنهما يحسنان من قدرات الأداة في التصويب، وزيادة سرعتها أثناء عملية القذف أو الرمي بها، كما يتمثل هذا التفعيل في جعل الأدوات المزودة بالمسحف المتجه من الطرف العلوي صوب الجزء الأسفل منها، أكثر حدة في الاختراق وقدرة على الفتك السريع بالفرائس أكثر من غيرها، بفضل ذلك النفق المنبسط (شكل ٣ : ١).

أما الرؤوس الحادة ورؤوس السهام التي زودت ضمن التحديث، بأنفاق من اتجاه قاعدتها صوب أطرافها العلوية (شكل ٢ : ٣)، أو أن ذلك التجويف نفذ من الأعلى إلى الأسفل، لكنه إقترب إلى حد كبير من عنق الأداة، أو قاعدتها (شكل ٣ : ١) يبدو أن الهدف منه - علاوة على ما سبق ذكره - تزويد الأداة بفرص إضافية جديدة وإمكانية كبرى لعملية تثبيت تلك الأنواع على حواملها بصورة مثلى ومحكمة.

ويعد هذا من التهذيب أسلوبا فريدا خاصا وملازما في الأساس لصناعة العصر الحجري الحديث في جنوبي الجزيرة العربية (Rashed 1993b: 12, 1993c.: 296; Amirkhanov/ 1994: 227: fig. 10: 1) ولا يستبعد أن يكون التهذيب المذكور قد عرفته بصورة أو بأخرى مناطق في وسط الجزيرة العربية أيضا. هذا التهذيب الذي لا نجد له بتلك الصورة شبها في أقاليم أخرى، عدا وجها من ذلك الشبه نجده متطابقا إلى حد بعيد في بعض من مناطق القارة الأمريكية مثل المكسيك...الخ (Hester: 1985: 80,,Bryan : 1978: 136: fig. 6: p. 270: fig. 3: Turner, 89) حيث يمكن أن يفسر هذا الشبه ببعض الطرق المتشابهة في الإنتاج، بغض النظر عن بعد المسافة بين الجزيرة العربية والقارة الأمريكية.

ومن ضمن الطرق الخاصة بتجهيز أدوات العمل في العصر الحجري المذكور المتغيبة إلى حد كبير في الجزيرة العربية، نذكر أكثرها دلالة هنا التهذيب المثلم (Blunted (backed) Retouch) وعمليات التنعيم، منها طريقة الصقل (Polish) بالفرك والجلخ (Grind)، مع أن مصادفة بعض الأدوات المصقولة نجدها في حالات نادرة، ومن ضمن تلك الحالات الحاملة لجوانب من الشك أكثر من اليقين، أداة واحدة وجدت في منطقة مطرة بنهم شمال صنعاء، وهي عبارة عن مكيشط (End-scraper)، جهز على مؤنة كانت في السابق أداة، وكأنها من فئة الرؤوس الحادة، انكسرت فيما يبدو خلال فترة الاستخدام، وللاستفادة منها حول الجزء الباقي إلى أداة أخرى، بعد أن تعرض ذلك الجزء لعملية البتر (Truncation) (شكل ١ : ٣).

يعتبر البتر طريقة من طرق التهذيب سجلت في تقنية العصر الحجري الحديث (شكل ١ : ٣) فعلى الجهة الخلفية من هذه المؤنة وجدت آثار جزئية ناعمة الملمس توحي وكأنها ناتجة لعملية صقل، ربما تعرضت لها الأجزاء البارزة من تلك الجهة، أما الجهة الأمامية فمهذبة كالعادة في الرؤوس الحادة و رؤوس السهام المعروفة في الجزيرة العربية كما هو موضح في الرسم (شكل ١ : ٣)، وإلى جانب ذلك هناك حالة أخرى شبيهة بالحالة الأولى تحمل جوانب من الشك أكثر من اليقين، آثار التنعيم وجدت على جزء بسيط من الجهة الخلفية في أداة أو عن تغيير متكرر حدث لتلك الأداة في الموقع الأثري أكثر من احتمال التنعيم السابق لعملية استخدام الأداة أو عن تغيير متكرر حدث لتلك الأداة في الموقع الأثري أكثر من احتمال التنعيم السابق لعملية الاستخدام



شكل ٣ : ١-٧ رؤوس حادة ورؤوس سهام ٨ مكيشط (١-٦ من المتحف الوطني بصنعاء؛ ٢-٧،٥-٨ من طرف العين ٤ في العبر)

(شكل ١ : ٤) والأداة عبارة عن مكيشط (End- Scraper) رأسي مستعرض الشكل مقعر الشفرة، جهز ذلك المكيشط على مؤنة عبارة عن جزء بقي كذلك من أداة أخرى تعرضت للتهذيب المرقق (شكل ١ : ٤).

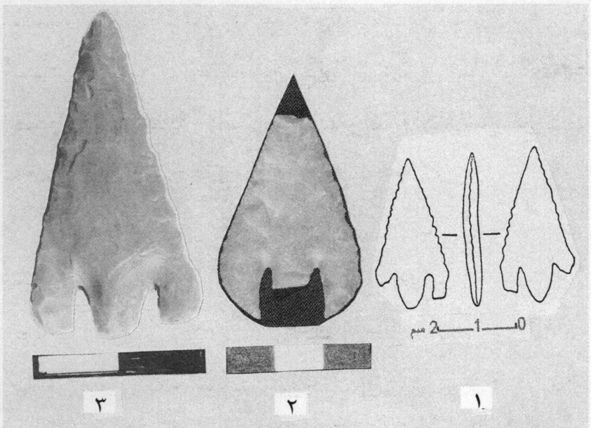
فالحالات المؤكدة لعملية الصقل، شاهدناها على قلة من الفؤوس الحجرية (لوحة : ١ : ٤ – ٦) منها خمسة فؤوس متوسطة الحجم نسبيا (لوحة : ١ : ٥) وصغيرة، جهزت بعضها من حجر اليشم (Jasper) (لوحة : ١ : ٦) وخام النفريت (Nephri) (لوحة : ١ : ٤).

وثلاثة من هذه الفؤوس محفوظة في المتحف الوطني بمدينة صنعاء (لوحة : ١ : ٤ – ٦)، وفأس آخر من نفس النوع وبنفس الصفة وجدناه في متحف الغيظة بالمهرة، وفأس مصقول الشفرة تم العثور عليه من قبل الهواة بمنطقة سعوان في حوض صنعاء.

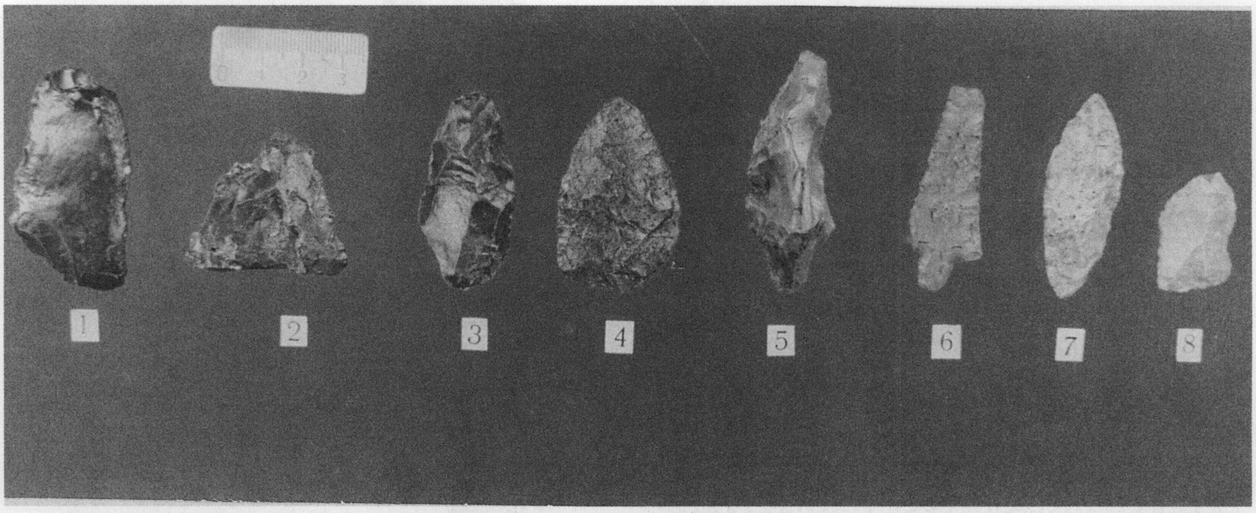
كما ذكرت في هذا الصدد حالات نادرة من الصقل في وسط الجزيرة العربية، على عدد قليل من الفؤوس الحجرية، إلى درجة أن عملية يمكن ناتجة عن استخدام الأداة وليس بسبب التنعيم المقصود السابق لعملية الاستخدام (Zarins, et. al: 1979:20).

وعلى أي حال فإن طرق الصقل والجلخ نادرة بين مواد العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية بشكل عام، ومن المعتقد أن مثل هذه الحالات الأكيدة والنادرة التي سجلت على الفؤوس الحجرية ترجع في أحسن الأحوال إلى ختام العصر الحجري الحديث، إلى فترات مابعد العصر الحجري الحديث.

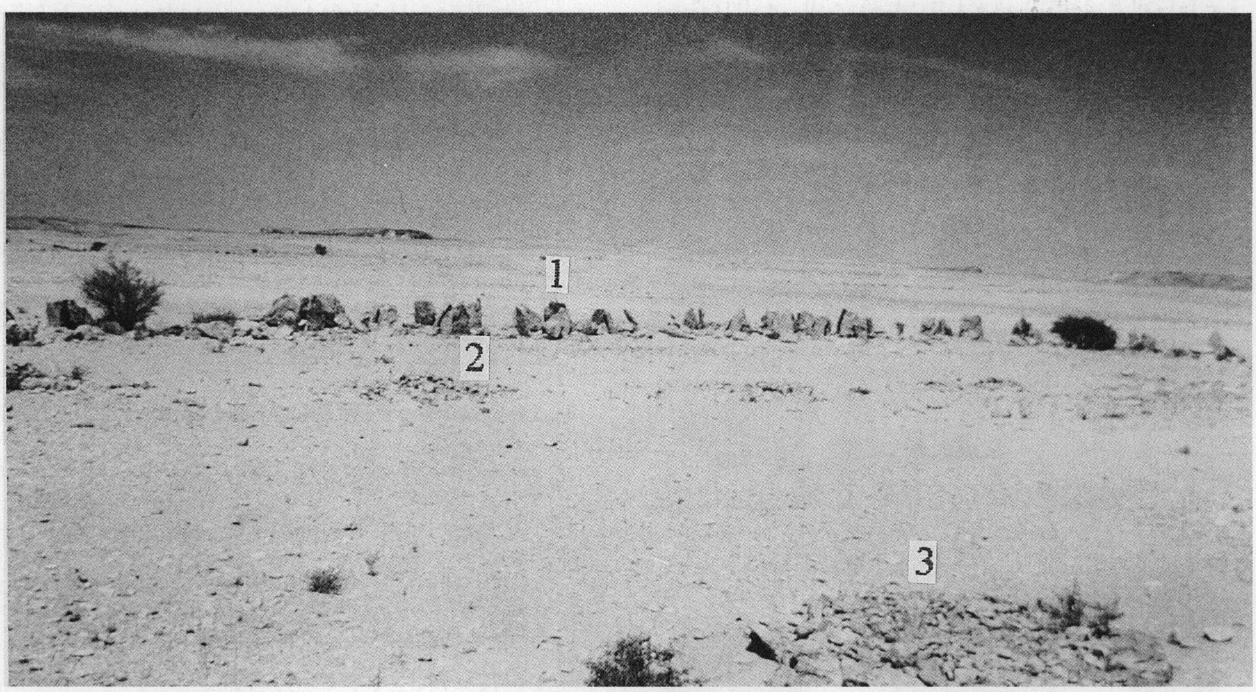
هذه العناصر المذكورة أعلاه التي وجدت مجتمعة في الطور الثاني من عملية تجهيز الأدوات قدمت صفات آثريه مهمة للعصر الحجري الحديث ومنها السمات العامة لثقافة الشظايا السالفة التحديد، كما أظهرت مستوى الرقي الذي وصلت إليه هذه الثقافة في التعامل مع الصناعة الحجرية في مرحلة التهذيب.



لوحة ١:١-٣ رؤوس سهام، ٤-٦ فؤوس حجرية . (١-٢، ٤-٦ من المتحف الوطني بصنعاء؛ ٣ من متحف قسم الآثار بجامعة صنعاء)



أ



ب

لوحة ٢ : أ - مواد صوانية من مواقع أثرية في العَبْر : نقلاً عن (Rashed, 1993)

١-٢ مواد سابقة للعصر الحجري الحديث؛ ٣-٤ العصر الحجري الحديث المبكر ؛ ٥- نهاية العصر الحجري الحديث المبكر وبداية العصر الحجري المتأخر «الصحراوي» ؛ ٦-٧ العصر الحجري الحديث المتأخر «الصحراوي» ؛ ٨- بعيد العصر الحجري الحديث (Post-Neolithic).

ب - منشآت حجرية من هضبة المَهْرَة، صُورت في سنة ١٩٩٠ من الإتجاه الشمالي الشرقي.

١,٣- تصنيف الأدوات الحجرية في ثقافة الشظايا

سيقتصر الحديث في التصنيف النوعي على ذكر أنواع معينة من الأدوات التي نرى أنها ستساعد بشكل واضح على تمييز ثقافة الشظايا وتبين طبيعة أدواتها الرئيسة وهي:

الرؤوس الحادة (Points) رؤوس السهام (Arrowheadsh) المثلثة الشكل (Triangular Shaped) (شكل ٢ : ٢) Narrow Foliatesh (المنصولة الطرفين) أو (المتشابهة الطرفين) (شكل ٣ : ٧) والمحدبة (المنحنية) القاعدة، ويطلق على بعضها احيانا الرمحية (Lanceolates) وكذلك الثلاثية (Trihedral Point) أو (ثلاثية الأوجه أو السيقان) ذوات المقطع العرضي المثلث الشكل (شكل ٢ : ٣-٤،٥) المعينية الشكل (Rhomboidal-shapedh) (شكل : ٢ : ١) وكذا رؤوس سهام المذنبة (Tanged Arrowheads) واضحة وأحيانا وهمية (صغيرة جدا)، ثلاثية الأوجه (شكل ٣ : ٤) وغير ثلاثية رؤوس سهام محققمة (Notched Arrowhead) أو (محضرة) ثلاثية وغير ثلاثية (شكل ٣ : ٥,٢) Stemmed Arrowheadsh (رؤوس السهام المعنقة) (شكل ٢ : ٥ ؛ شكل ٣ : ١،٦) ذوات الأكتاف: منها الدانية (غير المتدلية كثيرا) والمتدلية (لوحة : ١ : ١،٣) والعرجونية (ذوات الأكتاف المقوسة إلى الداخل) (لوحة ١ شكل : ٢).

ومن السمات التفصيلية للرؤوس المعنقة أو (المجنحة) أنها ذوات أكتاف بزاويتين منفرجتين أو حادتين أو قائمتين، تقعان بين الكتفين وبداية العنق عدن الفئة المذكورة من الأدوات.

وقد اعتبرنا رؤوس السهام المعنقة من المميزات الرئيسة للنمط الثقافي الصحراوي في جنوبي الجزيرة العربية ووسطها، عند المقارنة بين مواد المنطقة الصحراوية ومواد المناطق الأخرى داخل الجزيرة العربية وخارجها، وهو النمط الذي قمنا بفرزه ضمن أربعة أنماط ثقافية أخرى في هضبة المهرة والهضبة الغربية والمنطقة الساحلية. (Rashed: 1993b:17) .

وقد عملت هذه الرؤوس المعنقة في نفس الوقت على تقسيم العصر الحجري الحديث لثقافة الشظايا في المنطقة الصحراوية إلى قسمين: مبكر ومتأخر، لم يتم تحديدهما إلا بعد أن تحددت مكانة تلك الرؤوس أساساً في سلم الترتيب المرحلي النسبي، والذي لم يشاركني فيه الرأي زملاء في حولية أطلال ربما لعدم تزويدهم بالرسوم التوضيحية الكافية.

بُني ذلك المنهج على أساس البلى (Patina) وعوامل التعرية الأخرى العالقة بالمواد الأثرية (Rashed 1993a) وقد أتبعناه في دراسة المواقع المكشوفة في العراء، ويمكن الاستفادة منه في دراسة المواقع المغلقة أيضا.

ومن الضروري استعراض جزء من ذلك الترتيب المرحلي النسبي، نظرا لعلاقته المباشرة بالعصر الحجري الحديث، غير أنني سوف أكتفي هنا بعرض لوحة توضيحية تاركا الخوض في موضوع تقسيم العصر الحجري الحديث بالتفصيل إلى مقال مستقل عن هذا البحث.

تضم اللوحة رقم ٢-أ التي سنستعين بها ثمانية نماذج من خام الصوان، وكل نموذج يمثل مجموعة أثرية، كل مجموعة منها تمثل فترة زمنية بحسب ظهورها.

تتضمن تلك اللوحة الحدود الفاصلة لبداية ونهاية العصر الحجري الحديث : (Rashed 1993a: pl.1: 1993c: pl. 26) وتقسيماته الداخلية (Rashed 1993a: pl.1: fig.5,6: 1993c: fig.5,6).

أقدم الرؤوس الحادة التي عرفت من خلال ذلك الترتيب المرحلي النسبي حددت بداية العصر الحجري الحديث المبكر (لوحة ٢ - أ : ٣) وتحددت نهاية هذا العصر بظهور الرؤوس المعنقة (لوحة ٢-أ : ٥) التي نعتبرها في الوقت نفسه بداية للعصر الحجري الحديث المتأخر في المنطقة الصحراوية (لوحة ٢ : ٦)، أما نهاية العصر الحجري الحديث في المنطقة المذكورة فقد حددت بندرة أو اختفاء الرؤوس الحادة ورؤوس السهام عموما (لوحة : ٢-أ : ٨).

ووفقا للترتيب المرحلي المشار إليه سلفا ينقسم العصر الحجري الحديث المتأخر في المنطقة الصحراوية إلى مرحلتين : مبكرة ومتأخرة، تميزت المرحلة المبكرة برؤوس السهام المعنقة (لوحة : ٢-أ : ٦)، بينما تميزت المرحلة المتأخرة بظهور رؤوس سهام معنقة بأكتاف متدلية (لوحة : ١ : ١, ٢) فضلا عن ظهور رؤوس سهام مشرشرة الجوانب (شكل : ٢ : ٥ ؛ لوحة : ١ : ١) وتغير مقاسات أحجام الكثير من الرؤوس الحادة ورؤوس السهام.

إن وفرة الرؤوس الحادة ورؤوس السهام في ثقافة الشظايا الأثرية كشفت عن أهم وسائل العمل التي يمكن من خلالها بصورة غير مباشرة التعرف على النمط المعيشي لحياة الإنسان في العصر الحجري الحديث، وهو ما تم ذكره في الفقرة ١.١.١ وسيتم تناوله في فقرة ٣ أيضا، كما تجلت من خلال هذه الأدوات بالإضافة إلى طرق التفليق الفوارق الجوهرية بين مواد ثقافة الشظايا لجنوبي ووسط الجزيرة العربية ومواد العصر الحجري الحديث في شمالي وشرقي الجزيرة المذكورة، وهو فرق كبير سيتضح بصورة أكثر في الفقرات التالية.

٢- من خصائص مصنوعات العصر الحجري الحديث في شمال الجزيرة العربية وشرقها

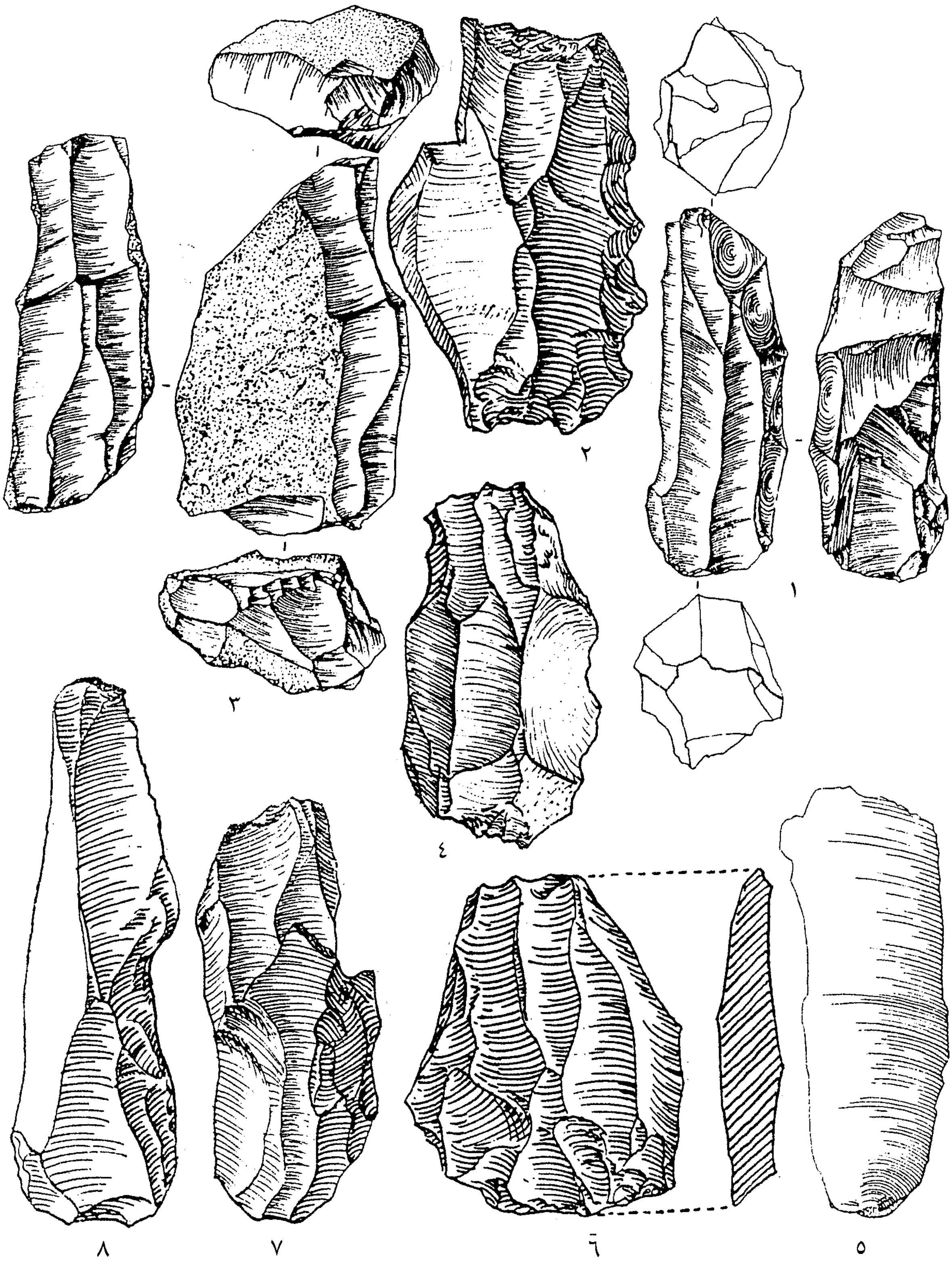
تثبت الدراسات الأثرية أن كثيرا من المواد الحجرية التي وجدت في المراحل المبكرة من العصر الحجري الحديث في شمالي الجزيرة العربية وشرقها (Adams, et. al. 1977: Parr, al. 1978 Kapel: 1965: 1967: Masry,1974: Inizan. 1988) (Glob. 1954. Nielsen. 1962: لها مواصفات تقنية ونوعية تختلف عن تقنية الشظايا (Rashed 1993c: 20,36, 270-289,299, 306) التي سادة بجنوبي ووسط الجزيرة، ومن خلال تلك الدراسات أصبح من الواضح أن ثقافة العصور الحجرية التي حددها الباحث الدينماركي (هولجر كابل) في قطر (Kapel 1967: 19-20) تحتوي على أخطاء جوهرية كثيرة، منها خطأ في التصنيف المرحلي لمجموعة المواد الحجرية التي سميت بالثقافة وهو أمر يهمنا أكثر من غيره في هذا الموضوع.

فقد نسبت تلك المجموعة في الستينيات إلى العصر الحجري الوسيط : (Kapel: 1965: 150: 1967: 19-20) بينما هي مواد تعود إلى العصر الحجري الحديث، من المستحسن استعراضها بنفس الخطوات الآنفة التي أتبعت في إظهار مميزات ثقافة الشظايا الحجرية في جنوبي ووسط الجزيرة العربية.

٢,١- التفليق

كانت عملية التفليق في المرحلة الأولى من تجهيز المواد الحجرية يتم إنجازها بشمالي الجزيرة وشرقيها عن طريق التشطير، وهي عملية يتم بواسطتها أساسا إنتاج الشطائر الحجرية كمؤن لتجهيز الأدوات، فالشطيرة الطول فيها يساوي ضعف العرض أو أكثر (شكل ٣ : ٨ ; شكل : ٤ : ٨،٥). ومن خلال الوصف والرسوم التوضيحية والصور الفوترغرافية، سواء للفلقات المشطورة بصورة مباشرة أو لكثير من الأدوات التي جهزت على تلك الشطائر الحجرية في المنطقتين المذكورتين تبين أن جانبي الشطيرة منتصبان إلى حد كبير وذوي حواف مستقيمة بدرجة كافية وتحمل الجهة الأمامية من الشطيرة في الغالب مسحفين مسطحين، غير عميقين، منحدرين صوب الأطراف، وممتدين تقريبا من أسفل الشطيرة حتى نهايتها :
(Glob 1954. pl. III: fig. 5: d-h; 170: fig. 4; Nielsen 1962: 174:pl. II: fig. 3-7 pl. 176 pl. III: fig. 1-5 p. 178 pl. IV: fig. 1-6; kapel 1965: 128: fig. 9p. 129: fig. 10:3-5, 7-8; kapel: 1967: pl. 17: fig. 1-8 pl. 18: fig. 4, 5, 7, 8, pl.22: fig.3, 5; Inizan 1988: 43: fig.12).

وتتميز المواد المذكورة بأنها فلقت بطريقة متوازية وشبه متوازية من مناكب النوى الخاصة باستخراج الشطائر الحجرية التي جهزت هذه النوى في الغالب الأعم من أحجار الصفاح (الألواح) ومنها النواة ذات الحجرتين المتقابلتين (Kapel: 1967: pl. 21: fig. 6: pl. 23: fig. 9: Inizan: 1988: 41: fig. 10:p. 43: fig. 12) (شكل ٤ : ٦،٧, ١٣) ، وتعد هذه السمات في عملية التفليق وأساليبها المتنوعة مختلفة بصورة لا جدال



شكل ٤ : ١ -٤، ٦-٧ نوى ، ٨،٥ شطائر من قطر ١،٣،٥ نقلاً عن إنيزان (Inizan, 1988) ، ٢، ٤ ، ٦-٨ نقلاً عن كابل (Kapel,1967)

فيها عن أسلوب التفليق الذي تميزت به ثقافة الشظايا في جنوبي ووسط الجزيرة العربية.

٢,٢- التهذيب

يظهر الفرق شاخصاً للعيان في مصنوعات الشطائر الحجرية في عدد من أساليب التهذيب، منها طريقة تشذيب الرؤوس الحادة ورؤوس السهام، حيث نجد عملية التشذيب في تلك الفئة المذكورة من الأدوات كانت تهدف في المقام الأول إلى إعطاء الشكل المطلوب لنوع الأداة.

فلقد اقتصرت عملية التهذيب بالنقر على تشكيل أعقاب (مثبتات) الرؤوس الحادة ورؤوس السهام، سواء أكانت أعناقا أو أذنابا أو أزجة(4) (شكل ٥).

III: feg. 4: Kepel:1967: pl.17,18,23-27) (Nielsen: 1962: 172: pl. 1:p1. وعلى تشكيل الجزء الفعال في الأدوات الأخرى مثل الّ (المثاقب) fig. 9) Pointh(Nielsen: 1962: 174: pl.11: (الأنصال)...الخ.

وكانت عملية التهذيب تنفذ بقدر كبير من عدم الإسراف عند إقامة النقرات على المؤن الحجرية، فعادة يتم الاكتفاء بإقامة أهذاب موزعة أو ملتحمة على طول الحواف الجانبية في الرؤوس الحادة ورؤوس السهام (شكل : ٥). وفي حالات قليلة نجد عملية التهذيب لاتقف عند هذا الحد، بل تتجاوز حدود الحواف لتشمل بذلك إقامة نقرات على أجزاء كبيرة إلى الداخل من الجهة الأمامية والخلفية وقد تغطي تلك النقرات جهة كاملة من الأداة (Inizan: 1980: 235: fig. 1988: 45: fig.14) وأحيانا يتم مصادفة نماذج من تلك الأدوات مرققة بالكامل تقريبا من الجهتين، لكل هذا التهذيب يبقى متميزا بطبيعته عن التهذيب المرقق في ثقافة الشظايا، خاصة بصغر أحجام النقرات وبعدم انتشارها الواسع على الرؤوس الحادة ورؤوس السهام.

فقد كان التهذيب المرقق الذي يغطي جزءا كبيرا في الأداة يخضع ربما لمقتضيات أنواع محددة من الأدوات، خاصة في الحالات التي يعتقد أنه كان يتم فيها اختيار بعض المؤن الخشنه الصنع نسبيا لتجهيز مثل تلك الرؤوس، وللتوكيد فإنه على الرغم من وجود النوع المذكور من التهذيب المرقق في المنطقتين الشمالية والشرقية من الجزيرة العربية على الرؤوس الحادة ورؤوس السهام، إلا أن ذلك التهذيب لم يصل في أغلب الأحوال إلى حد الترقيق الكلي للجهتين الامامية والخلفية كما هو الحال في الرؤوس الحادة ورؤوس السهام في ثقافة الشظايا في جنوبي الجزيرة العربية ووسطها.

٢,٣ التصنيف

تعد أنواع المواد الأثرية من العوامل المهمة في تحديد أوجه الشبه والاختلاف بين الثقافات الأثرية، ومن الأدوات التي نستشهد بها عند إظهار المميزات الخاصة بالصناعة في العصر الحجري الحديث في شمالي الجزيرة العربية وشرقها الرؤوس الحادة ورؤوس السهام لأنها من أكثر المواد حساسية في هذا الجانب وقد نشر الكثير منها في المنطقتين المذكورتين بنماذج مختلفة :

(Nielsen: 1962: 172: pl. I: p.176: pl. III: fig. 4: Kapel: 1965: 28: fig. 9: 1, 3, 4-5, 7: Kapel: 1967: pl. 17 fig. 1-14, 18, pl. 18: fig. 2, 3: pl. 23: fig. 1, 3-5, 7: p.24: pl. 25: fif. 4, 8-9, 10: pl. 27, fig. 3: Inizan: 1988: 45: fig. 14).

(شكل ٥) فهي مذنبة في هذه الصناعة في الغالب الأعم (شكل ٥ : ٨،٥،٢)

Kapel: 1967: pl. 17: fig. 8: pl. 18: fig. 3: pl. 24: fig. 9, 13: pl. 26: fig. 8: pl. 27: fig. 6: Nielsen: 196: 172: pl. I: p. 176: pl. III: fig. 4: Inizan: 1988: 45: fig. 14)

منها رؤوس ذوات أكتاف صغيرة قريبة للمذنبة أكثر من رؤوس السهام المعنقة (شكل ٥ : ٦)

Kapel: 1967: pl. 17: fig. 6,7,12,14: pl. fig. 1,4: pl. 24: fig. 1-3, 5, 8, 10-12, 14-16, pl. 8, 9, 11, pl. 26, fig. 1-2, 4, 5, 7, pl. 27, fig. 3, 4, 5, 8, 9).

أمارؤوس السهام المعنقة ذوات الأكتاف فهي كغيرها من الرؤوس الآنفة الذكر غالبا غير مرققة من الجهتين بصورة تامة، وما يتم مصادفته من هذا النوع

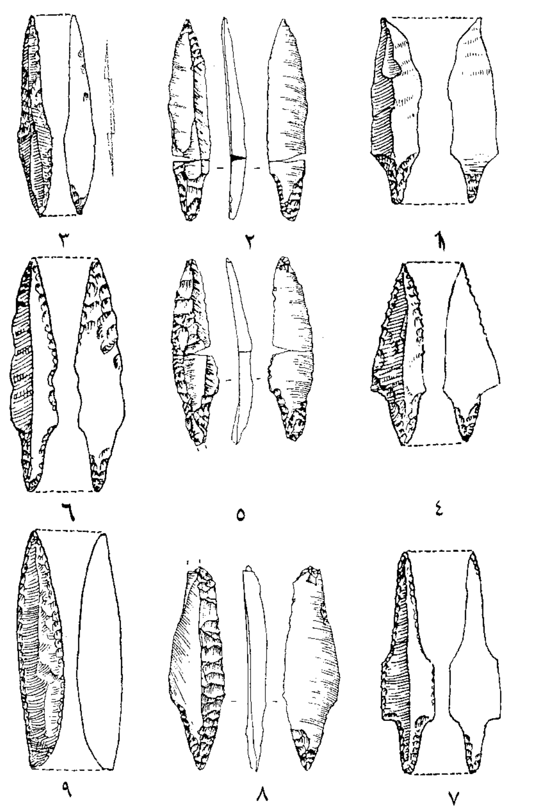
يعتبر من ذوي الأكتاف بالزوايا المنفرجة (شكل ٥ : ١) أما الرؤوس المعنقة التي تصل زوايا أكتافها إلى أقل من ٩٠ فغير منتشرة بكثرة هنا، وإن تم مصادفة أعداد منها فإن زوايا أكتافها قائمة في أحسن الأحوال (شكل ٥ : ٤)

(Kapel: 1967: pl. 17: fig. 1-5: pl. 23: fig. 3, 5, 7: pl. 24: fig. 3: pl. 26: fig. 3: pl. 27: fig.10, 11).

ومن الملاحظ في هذه الصناعة الانتشار الواسع للرؤوس المذنبة وللأنصال (شكل ٥ : ٦) (Kapel 1967:pl.18:fig.1,5,7-9:) 5,7,8: pl. fig. 10) 23: fig. 2: pl. 25: fig. 1-3, . وقلة إلى حد ملحوظ في كمية الرؤوس المنصولة الطرفين: Kapel: 1967: pl. 17) (fig. 21 : pl. 27: fig. 12) والرؤوس الحادة ورؤوس السهام ذوات الأزجة (شكل ٥ : ٣) مع تغيب شبه كامل تقريباً للرؤوس الحادة ورؤوس السهام المعينية الشكل ورؤوس السهام المعنقة ذوات الأكتاف بالمناكب المتدلية والعرجونية.

ومن السمات العامة للرؤوس الحادة ورؤوس السهام في المنطقتين المذكورتين في الجزيرة العربية طريقة التهذيب التي ينبغي أخذها بعين الاعتبار، حيث إن هذه الأدوات تحمل أهذابا متميزة، وتتمركز على حوافها وعلى تشكيل أعقابها بهدف الوصول إلى الشكل العام كغاية نهائية لصناع تلك الأدوات . وقد جهزت الأدوات المذكورة مثل غيرها من الأدوات الأخرى في هذه المصنوعات من شطائر حجرية بدرجة رئيسية (شكل : ٥).

وبناء على جملة تلك الخصائص التقنية في مرحلة التفليق والتهذيب وأنواع الأدوات توفرت الشروط المادية لضرورة فرز ثقافة أثرية أخرى للعصر الحجري الحديث في شمالي الجزيرة العربية وشرقيها، وهي ثقافة الشطائر الحجرية (Blade Culture) التي وجدت في المنطقتين المذكورتين (20, 36, 270, 270, 298-99,306 (Rashed 1993b: 18: 1993c: (المعمري : ١٩٩٥ : ١٠٧-١٠٨) قبل أن تظهر ثقافة جنوبي ووسط الجزيرة العربية في المناطق الشرقية من الجزيرة العربية.



شكل ٥ : ١ -٩ رؤوس حادة ورؤوس سهام من قطر : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ نقلاً عن كابل (kapel, 1967) ؛ ٢، ٥، ٨ نقلاً عن إنيزان (Inizan, 1988)

وبتقديرنا فإن مواقع ثقافة في الشطائر الحجرية على الرغم من أنها تتركز في الأجزاء الشمالية والشرقية من الجزيرة العربية إلا أننا نجد مواقع لهذه الثقافة في الأجزاء الشمالية الغربية (Ingraham, et. Al: 1981: 66-68) وقليلا منها في الأجزاء الوسطى مثل موقع الثمامة الواقع شمالي غربي الرياض (أبو درك وآخرون : ١٩٨٤١٠١ : لوحة : ٩٨)، حيث يحتوي هذا الموقع على مواد لثقافة الشطائر والشظايا أيضا (أبو درك، وآخرون : 1984 101102 :: áMƒd : 99,98) منها أدوات ذات طابع خاص، لست الآن بصدد تفصيلها.

وهناك مواقع في أماكن محصورة وسط الجزيرة وصفت بأنها من المواقع المحيرة مثل مجموعتي صلبوخ شمالي غربي الرياض بما فيها موقع ٢٠٧-٣٨ في منطقة سدوس، حيث نسبت هذه المواقع تارة إلى العصر الحجري القديم الأعلى وتارة إلى Epi-palaeolithic (الفترة

اللاحقة من العصر الحجري القديم) (al: 1979: 17-18: 1980: 18 Zarins, te.) ومن المواقع التي ذكرت بأنها تعود أيضا إلى الفترة اللاحقة من العصر الحجري القديم هي : (64/46/48/44/42/41-207) في منطقة ضرماء، ومجموعة عين الحسي على المنحدر الشرقي من من جبل طويق التي تركت معلقه في الترتيب المرحلي، على الرغم من أن هذه المجموعة كانت قد ذكرت في بادىء الأمر بأنها يمكن أن تؤرخ بمرحلة مبكرة من العصر الحجري الحديث (18-19 Zarins, et. al: 1979:).

لقد جهزت مواد هذه المواقع من شطائر و شظف (Laminar Flake) حجرية من بينها مواد يحتمل بأنها تنتمي للعصر الحجري الحديث. ومن خلالها يمكن أن تتكشف خصائص محلية للعصر الحجري الحديث في وسط الجزيرة العربية، إلا أنه مادامت مواد المواقع المذكورة لم تنشر بالمكامل بعد، فإنه من السابق لأوانه الحديث في هذا الموضوع، خاصة وأن بداية العصر الحجري الحديث ما زالت بحاجة إلى مزيد من الدراسة شأنها في ذلك شأن نهاية العصر المذكور.

٣- النمط المعيشي وتواريخ العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية

تعد مسألة تحديد بداية ونهاية أي عصر من العصور في كل منطقة جغرافية على حدة مسألة من المسائل المعقدة التي يسعى الآثاريون إلى حلها، وكذا فإن بداية ونهاية العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية غير متفق عليهما بشكل نهائي بعد، لكن ذلك لا يمنعني الآن من تقديم صورة موجزة عن نمط الحياة المعيشية للإنسان في العصر المذكور وتواريخه بما يتناسب مع المعطيات التي وردت في هذا البحث، كوجه من أوجه المقارنة أيضا بن الثقافتين السالفتي الذكر.

قدم بعض الباحثين تقديرات زمنية لظهور العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية منها الألف الرابع ق.م في جنوبي الجزيرة العربية استنادا بصورة غير مباشرة الى أوجه المقارنة بمواد حجرية من نفس العصر بواحة الفيوم من أراضي مصر العربية (Caton-Thompson 1954: 214) وفي نفس الصدد وقف الباحثون وسط الجزيرة العربية عند الألف الخامس ق.م (Zarins, te. al 1979: 20: 1980: 19: 1981: p. 19) مستندين في هذا التاريخ على رؤوس السهام المعنقة بالمقام الأول (20: 2980: 29: 1980: 19: 1981: p. 19 Zarins, te. al: 1979: 20: 2979:) ، وكأن مواد العصر الحجري الحديث المبكر من ثقافة الشظايا (لوحة ٢-أ : ٤،٣) غير موجودة في وسط الجزيرة العربية !.

إن مثل ذلك التحديد لبداية العصر الحجري المذكور في وسط الجزيرة قد يقود - إذا ثبتت أراء (زارينس) وزملائه - إلى الاستنتاج بأن منشأ ثقافة الشظايا يمكن البحث عنه في الركن الجنوبي الغربي من صحراء الربع الخالي بما في ذلك هضبة المهرة وحضرموت ومرتفعات ظفار العمانية.

ومع ذلك فإن بداية العصر الحجري الحديث في جنوبي ووسط الجزيرة العربية سبق أن حددناها بظهور الرؤوس الحادة ورؤوس السهام والتهذيب المرقق من الجهتين (المعمري : ١٩٩٥ : ١٠١) (1993c: 301-303 Rashed 1993a: 27-32: 1993b: 10,12-15:) (لوحة ٢-أ : ٣) مع أنه قد تصادف أحيانا مواد مرققة يمكن أن تكون فترتها الزمنية أسبق بقليل من الانتشار الواسع للأدوات المذكورة، هذا إذا اعتبرنا أن التهذيب المرقق والرؤوس الحادة ورؤوس السهام المبكرة كلها جزءا من العصر الحجري الحديث، أما إذا ظهرت ظرورة لإملاء الفراغ والواقع بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث بمواد أثرية مرققة من ضمنها بعض من الرؤوس الحادة ورؤوس سهام فتلك مسألة بحاجة إلى دراسة جادة ،ومستفيضة.

هذا من الناحية الأثرية، أما من الناحية الزمنية فربما تتطابق هذه البداية على أقل تقدير مع الألف التاسع .ذ.ٓ (Rashed: 1993b: 16: 16: 1993c: 287) استنادا إلى التغيرات البيئية التي وقعت في الجزيرة العربية والمناطق المجاورة، والتي تمثلت في المقام الأول

بدخول فترة مناخية رطبة في زهاء ..٩٠ سنة قبل الحاضر (McClure: 1976: 755).

ومما يدعم هذا الافتراض التواريخ الأكثر قدما للعصر الحجري الحديث التي تم الحصول عليها في بضعة مواقع من مواقع العصر المذكور على أرض الجزيرة، وهي المرتكز الأول في هذا الشأن على الرغم من قلتها إلى الآن، منها تأريخ الطبقة الرابعة المأخوذ من موقع حبروت في هضبة المهرة الذي يعود إلى العصر الحجري الحديث وهو (٩٥ ± ٧٩٣٥) قبل الحاضر ويعتبر هذا التأريخ معدلا وسطيا بين التأريخين (٤٠ ± ٨٤٧٠) و (١٥٠ ± ٧٤٠٠) (حصلنا على هذا التأريخ من أمير خانوف) والتاريخ الأخر هو (٩٥ ± ٧٧٠٠) قبل الحاضر من منطقة تهامة (Tozi 1986: 203) هذا ما يخص بداية العصر الحجري الحديث.

أما نهاية العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية فقد حدثت في أوقات متفاوتة، وقد تتميز بظواهر مختلفة في كل منطقة جغرافية على حدة. تتحدد تلك النهاية في المنطقة الصحراوية في حالات كثيرة بندرة أو اختفاء الرؤوس الحادة ورؤوس السهام (لوحة ٢- أ : ٨)، وهي فترة دخول Post-Neolithic (بعيد العصر الحجري الحديث). وتحت هذه الظاهرة يمكن أن تدرج نهاية العصر الحجري الحديث في هضبة حضرموت، لكن هناك اختلافا في تأريخ هذه الفترة، ففي وسط الجزيرة العربية أعيد Post-Neolithic إلى الألف الثالث ق.م (Zarins, et. al: 1980: 20) بينما وجدت في حضرموت مواقع حجرية خالية من الفخار وبالتالي من المصنوعات المعدنية، ويصل تأريخها إلى (١٦٥ ± ٢٨٩٥) قبل الحاضر في الطبقة الثقافية رقم ٣ من موقع الصفاء رقم ١ و (١٣٥ ± ٢٧٥٠) قبل الحاضرمن موقع المشهد رقم ١٠ (حصلت على هذه التواريخ أيضا من أمير خانوف الذي أطلعني في الوقت نفسه على جزء من مواد تلك المواقع عندما كان يعتزم القيام بدراسة عن حضرموت والمهرة) وهي مواد حجرية تتطابق مع مواد المجموعة الأخيرة من التقسيم المرحلي النسبي السالف الذكر (لوحة ٢-أ : ٨) التي خلت بشكل شبه تام تقريبا من الرؤوس الحادة ورؤوس السهام، (شكل ٣ : ٨؛ لوحة ٢-أ : ٨).

وتنسجم هذه المجموعة في جنوبي الجزيرة العربية إلى حد كبير مع الوصف الذي قدم للمواد الحجرية التي أعيدت في منطقتي نجد والحجاز إلى ذات الفترة (Zarins, et. al: 1980: 20-23).

والجدير بالذكر أن من اللافت للنظر كثيرا في حضرموت، الظهور المفاجيء للأدوات القزمية الهندسية الشكل، والمجهزة من خام الزجاج البركاني (Obsidian) وذات الارتباط في نشأتها بتشكل المستوطنات الحضرية المبكرة . (Rashed 1993c: 289-290) فهي مواد ذات علاقة بالنشاط الزراعي (Rashed 1993b: 18) وتختلف نوعيا وتقنيا عن تقاليد العصور الحجرية المعروفة في الجزيرة العربية (المعمري ١٩٩٥ : ١٠٦).

أما نهاية العصر الحجري الحديث في هضبة المهرة فمن الصعب تحديدها إلى الآن برؤوس السهام وحدها، حيث يبدو أن الرؤوس الحادة ورؤوس السهام ظلت تستخدم في الهضبة المذكورة بشكل واسع في فترة ما بعد العصر الحجري الحديث لذا كان لابد من النظر في ظواهر أثرية أخرى قد تساعد في معرفة تلك النهاية في الهضبة المذكورة.

وفي هذا الأمر يمكن الاستفادة من بعض المنشآت الحجرية (Field 1955: 137) خاصة من نوع Trilith (لوحة : ٥- ب)، وهي عبارة عن نصب مؤلفة في الغالب من ثلاثة أحجار أو أكثر من أحجار الصفاح (الصلل) (لوحة ٢: ١)، توجد بشكل مجموعات متجهة عادة من الشرق صوب الغرب على استقامة واحدة، أغلبها مفروش من الداخل بالحصيات المكورة الشكل، وقد لاحظنا بأن وجود هذا النوع من المنشآت يرتبط عادة بنوعين آخرين في نفس المكان: أحدهما يتألف كذلك من مجموعات تلي بعضها بعضا من الاتجاه الشرقي نحو الغرب، كل مجموعة تتكون من أحجار حصوية مكومة بشكل ممدود أو بيضاوي (لوحة ٢- ب : ٢)، والنوع الآخر

دائري الشكل، يتألف من أحجار مفروشة غير حصوية في الغالب الأعم (لوحة ٢- ب : ٣).

ولكي تربط المنشآت المذكورة بنهاية العصر الحجري الحديث، فإن ذلك يتطلب معرفة الزمن النسبي الذي ظهرت فيه تلك المنشآت، وقد يتأتى هذا من خلال معرفة وظائفها.

إن أول دليل يمكن أخذه في هذا الجانب هو علاقة الجوار الآنفة الذكر بين الثلاثة الأنواع المذكورة أعلاه (لوحة ٢- ب : ١،٢،٣)، حيث توحي تلك العلاقة بوجود وظيفة مشتركة بينها، وثانيا إن الرعاة في هضبة المهرة يطلقون على الأشكال الدائرية المنبسطة المنضدة بأحجار غير حصوية "مذابح" سواء أكانت قديمة (لوحة ٢- ب : ٣) أو حديثة. وعندما يشوون اللحوم فإنهم يشوونها على أكوام من الحصي المكورة الشكل، الشبيهة بالفرشات الحجرية في المنشآت القديمة، سواء المحاطة أو غير المحاطة بالنصب الحجرية (لوحة ٢ : ٢).

إن تلك العلاقة في الجوار والظواهر الأثنوغرافية المذكورة في هضبة المهرة وآثار النار التي ما زالت بقاياها في عدد من تلك المنشآت، خاصة ذات الحصيات المستديرة الشكل يحملان الباحث على ألا يذهب إلى ما ذهب إليه (دوستال) في تفسيره لوظائف هذه المنشآت القديمة، بأنها ذات علاقة بشعائر جنائزية (Dostal : 1968)، وإنما إلى احتمال أقرب، هو أن المنشآت القديمة التي ذكرت ربما كانت بالفعل لها علاقة بذبح الحيوانات وشي لحومها، وبالتالي فإن ظهورها ووظيفتها من المحتمل أن تكون قد ارتبطت بفترة ساد فيها نمط الرعي.

وبالمقارنة مع المنطقة الصحراوية فإن نمط الرعي ساد كما نعتقد في نهاية العصر الحجري الحديث وفي فترة ما بعد العصر الحجري الحديث استنادا إلى ندرة وانعدام الرؤوس الحادة ورؤوس السهام (لوحة :٢-أ : ٨).

ويمكن أن تكون نهاية العصر الحجري الحديث في الهضبة الغربية هي بداية ظهور العصر البرونزي الذي حدد بظهور الفخار والمباني الحجرية الدائرية الشكل (De Maigret, 1990).

وبناء على أنواع المواد الحجرية التي ذكرت منها في التصنيف النوعي يمكن القول إن الطابع العام للحياة المعيشية في العصر الحجري الحديث في المنطقة الصحراوية ارتكز بدرجة أساسية على الصيد تقريبا والجمع، وتشير أكوام الأصداف في المناطق الساحلية سواء التهامية أو الشرقية إلى أن تلك المناطق مارست الصيد البحري بدرجة نشطة وربما متخصصة إلى جانب الصيد البري والجمع، وهو النمط الذي يلاحظ بأنه تقهقر إلى كبير في مابعد العصر الحجري الحديث (Rashed 1993b: 18: 1993c: 289, 290) Post-Neolithic بسبب انتقال أجزاء من الجزيرة العربية إلى الرعي وأخرى إلى الزراعة والرعي مع الاحتفاظ بالصيد كعامل ثانوي بشكل عام.

٤- من العلاقات الثقافية للعصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية

بعد أن اتضحت معالم ثقافتي الشظايا والشطائر في الجزيرة العربية، صار من الممكن تتبع الجذور التاريخية والعلاقات الثقافية ولو بشكل أولي لهاتين الثقافتين.

تنقسم ثقافة الشظايا إلى مرحلتين كما سلف القول : العصر الحجري الحديث المبكر والعصر الحجري الحديث المتأخر، ولكل مرحلة من تلك المراحل دور خاص.

فالمرحلة المبكرة على الرغم من أنها انحصرت في المناطق الجبلية الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، القريبة من الصحراء (Rashed 1993b, p. 17-18; 1993c,p. 283-284, 304-305) (المعمري : ١٩٩٥ : ١٠٦) لكنها لم تغط الهضبة الغربية الجنوبية بكاملها، ولم تتوغل في نفس الوقت في اتجاه الصحراء.

كل ما عرف عن هذه المرحلة في المنطقة الصحراوية إلى الآن هو المواد التي وجدناها في منطقة العبر (لوحة : ٢ : ٤،٣) والتي أكدت بأن الشظايا الصوانية القليلة العدد التي سجلت في ترسبات جيولوجية بصحراء المندفن (McClure: 1971:1978) تنتمي هي الأخرى إلى العصر الحجري الحديث المبكر.

أما المرحلة المتأخرة التي وصفت برؤوس السهام المعنقة (لوحة ٢ : ٦) فقد ظهرت في الصحراء وتوسعت في نفس الاتجاه صوب الشرق والشمال والشمال الغربي، ولم تزحف تلك الرؤوس كثيرا إلى المناطق الجبلية الجنوبية إلا فيما ندر (Rashed 1993b: 17, 1993c: 291-293) فالعصر الحجري الحديث المتأخر في المنطقة الجبلية الغربية في جنوب الجزيرة العربية (Fedele 1984: 1985: 1986;1988) يختلف عن العصر الحجري الحديث المتأخر في المنطقة الصحراوية (Rashed 1993c: 281 - 283) ، لذا فإنه من المنصف أن يطلق على هذه المرحلة في المنطقة الصحراوية اسم العصر الحجري الحديث الصحراوي.

ومن الخصائص العامة لثقافة الشظايا، سيادة النواة المفلطحة جهتها العاملة وحضور للنوى المنشورية وكمية قليلة من النوى المنشورية الشكل وطرق تسديد الضربات المتوازية وشبه المتوازية في عملية التفليق ونعدام الفخار.

وتعتبر هذه العناصر التقنية من العوامل الرئيسة الموحدة لثقافة الشظايا بقسميها المبكر والمتأخر الصحراوي والجبلي ولأنماطهما المختلفة (Rashed 1993c: 291-293). أما التهذيب المرقق من الجهتين والصيد والجمع فتعتبر من المميزات المشتركة لثقافة الشظايا في المرحلة المبكرة من العصر الحجري الحديث. فالتهذيب المرقق والرؤوس الحادة ورؤوس السهام تندر أو تختفي بالكامل في عدد من مواقع الهضبة الغربية في الجزيرة العربية (Rashed: 1993c: 281-283).

ومن الأسباب التي أحدثت ذلك التمايز الكبير بين المنطقة الصحراوية والهضبة الغربية المذكورة من المتحتمل طبيعة الانتقال من الصيد إلى الرعي والزراعة والاختلاف في فترات حدوث ذلك الانتقال، الذي نرجح بأنه وقع في فترات مختلفة من العصر الحجري الحديث المتأخر.

أما خصائص ثقافة الشطائر في الجزيرة العربية، فمنها سيادة النواة التي تستخرج منها الشطائر الحجرية وتسديد الضربات المتوازية وشبه المتوازية على مناكب النوى وطرق التهذيب غير المرقق من الجهتين في الغالب الأعم وضيق نقرات ذلك التهذيب وأنواع الأدوات المذكورة (انظر ٣-٢) والنمط الاقتصادي القائم على الصيد وانعدام الفخار.

فالمواد الفخارية التي ظهرت في شرقي الجزيرة العربية "عبيدية" النوع، انتشر استخدامها تقريبا في الفترة التي تواجد فيها النمط الثقافي الصحراوي، وتركزت مواطن ثقافة الشطائر الحجرية في المنطقتين الشرقية والشمالية، كما نجد بعض أدواتها في الأطراف الشمالية الغربية، وقليلا منها في الجزء الأوسط من الجزيرة العربية.

وعلى أساس هذا التوزيع الجغرافي لمواقع العصر الحجري الحديث المبكر، يمكن القول أن الحاملين لمواد المرحلة المبكرة من ثقافة الشظايا كان لهم دور في إعاقة ثقافة الشطائر من الزحف صوب المنطقة الوسطى والجنوبية.

فلقد ظهرت ثقافة الشطائر في المنطقة الشرقية بفترة أقدم من دخول النمط الثقافي الصحراوي هناك، استنادا إلى التواريخ المطلقة، منها التأريخ (١٣٠+٥٠٢٠) الألف السادس قبل الحاضر أو (١٣٠ + ٦٩٧٠) الألف السابع قبل الحاضر المأخوذ من موقع شقراء الواقع جنوبي غربي أم سعيد في قطر (Kapel: 1967: 17,31) كتأريخ للمواد المجهزة من الشطائر الحجرية التي وجدت في الموقع المذكور، وعلى تاريخ آخر يرجع إلى (٩٠+ ٧٥٢٠) الألف الثامن الحاضر وجد أيضا بنفس المنطقة، لكن التأريخ الأخير لا يمكن الاعتماد عليه حتى الآن، لأنه لم يتم التدقيق فيه بعد (Inizan 1988: 124).

وبالمقابل فإن التأريخ المطلق (٤٩٣٥) الألف الخامس ق.م أو (٣٢٥ – ٦٨٨٥) الألف السابع قبل الحاضر المأخوذ من الطبقة الأثرية رقم ١٢ بموقع عين قناص (Masry 1974: 223) في واحة الاحساء من المنطقة الشرقية هو التأريخ الذي يمكن الاستناد إليه بشكل أولي لدخول النمط الثقافي الصحراوي المنطقة الشرقية ومنها الإمارات العربية المتحدة وقطر والبحرين، وبناء على ما وجد في تلك الطبقة من أدوات متطابقة مع أدوات جنوبي ووسط الجزيرة ومنها الأداتان – للاستدلال – الحاملتان للرقمين ١ و ٢ من نفس المصدر، فهي من رؤوس السهام التي توجد غالبا بكميات كبيرة في الركن الجنوبي الغربي من صحراء الربع الخالي بما في ذلك رمله السبعيتن ومنطقة مأرب.

هذا ولكل من الثقافتين الأثريتين جذور وروابط تاريخية مختلفة، نسبت على ضوئها أصول ثقافة الشطائر الأثرية إلى وادي الرافدين وبلاد الشام (المعمري: 109 1995-108) (Rashed: 1993b: 18) بالاستناد إلى عمليات تجهيز المواد الحجرية في مرحلة التفليق، تلك الأصول التي انحدرت على الأرجح من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار، انطلاقا أولا من غياب الفخار في ثقافة الشطائر في الجزيرة العربية، وثانيا من طرق التهذيب وأنواع من الرؤوس الحادة ورؤوس السهام التي ذكرت في الفقرة ٢.٣ وثالثا من نمط العيش القائم على الصيد في ثقافة الشطائر المذكورة وفي العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار أيضا في وادي الرافدين و بلاد الشام. وعلى الرغم من ظهور ثقافة الشطائر في الجزيرة العربية في المرحلة المبكرة من العصر الحجري الحديث، إلا أن نشاطها توقف تقريبا عندما حل محلها العصر الحجري الحديث "الصحراوي".

ومن تأثيرات الأقاليم الشمالية على الجزيرة العربية في العصر الحجري الحديث المتأخر الفخار العبيدي، الذي يمكن التدليل به على حدوث تماس ثقافي ليس إلا بين منطقة الخليج العربي ومصدر ذلك الخام في جنوب الرافدين، ذلك لأن الأدوات الأساسية في المنطقة الشرقية، والمؤلفة من المواد الحجرية، أصبحت من النمط الثقافي الصحراوي الذي أتى إليها من جنوب ووسط الجزيرة العربية.

أما منشأ ثقافة الشظايا الأثرية فقد أعدناه إلى البيئة المحلية داحضين في الوقت نفسه الفكرة التي حاولت البحث عن روابط لجذور هذه الثقافة في العصر الحجري الحديث في أفريقيا خاصة في واحة الفيوم (Rashed 1993b: 19: 1993c: 294-297) (المعمري ١٩٩٥:١٠٨ – ١٠٠). ومن هذه الزاوية يمكن لنا أن نصف ثقافة الشظايا مجازا بالثقافة العربية تأكيدا من جهة على انتماء جذورها للجزيرة العربية، ومن جهة ثانية تمييزا لها عن ثقافة الشطائر الآتية جذورها من خارج الجزيرة العربية.

إن وجه الشبه الذي وجدناه حاصلا بين ثقافة الشظايا في الجزيرة العربية وثقافة العصر الحجري الحديث في القارة الأفريقية تركناه لدور التماس الثقافي بين الجزيرة المذكورة وواحة الفيوم بما في ذلك وادي النيل والصحراء الأفريقية الكبرى والأجزاء الشمالية الشرقية من أفريقيا، محددين حينها – لأول مرة تقريبا– الفترات التي تبلورت فيها عناصر ذلك التماس بنماذج من الأدوات الحجرية، وذلك في مرحلة العصر الحجري الحديث الصحراوي، وبدقة أكثر عندما ظهرت رؤوس السهام المعنقة ذوات الأكتاف في حوالي المجموعة الرابعة (لوحة : ٢–أ : ٦)، واصفين تلك العناصر المتشابهة بأنها بلغت ذروتها في المجموعة الخامسة من التقسيم المرحلي النسبي للعصر الحجري الحديث آنف الذكر (Rashed 1993c: 306).

وهكذا تضمن التماس الثقافي الذي ذهبنا إليه إشارة عكسية مفادها – بعبارات أخرى – أن النمط الثقافي الصحراوي العربي (المرحلة المتأخرة من العصر الحجري الحديث) يحتمل أنه الذي أحدث صلة الجزيرة العربية بالقارة الأفريقية ابتداء بواحة الفيوم، وهو استنتاج لم تطرق أبوابه من قبل إلا بعد أن ظهرت حيثيات له عبر ذلك التسلسل المرحلي النسبي للمواد الحجرية،

الذي شخص لنا في هذا الجانب ليس فقط الفترات الزمنية النسبية للمواد الحجرية في الجزيرة العربية المتشابهة مع المناطق الأفريقية المذكورة، ولكن كذلك الفترات الزمنية للمواد التي وجدت فيها الكثير من نقاط الاختلاف، موسعا بذلك أطر التقديرات الزمنية النسبية لثقافة الشظايا في الجزيرة العربية عنها في واحة الفيوم (Rashed: 1993b: 16-19: 1993c: 294-297) (المعمري : 109110 1995 :)، حيث بات من الواضح حينها أن أوجه الشبه الكبير في بعض المواد الحجرية التي احتوتها ثقافة الفيوم لم تجد مكانة لنفسها إلا مع العصر الحجري الحديث الصحراوي وليس مع العصر الأثري المذكور كله في الجزيرة العربية.

إلا أنه وعلى الرغم من كل ماذكر فإننا لم نستبعد إطلاقا التأثيرات المحتملة على الجزيرة العربية من المناطق الأفريقية السالفة الذكر بما في ذلك التأثير المحتمل من شمالي وشرقي أفريقيا، ذلك لأن الحل الحاسم لمسألة العلاقة بين القارة الأفريقية والجزيرة العربية في العصر الحجري الحديث سيبقى - حسب الظن- مرتبطا إلى حد ما بمعرفة الجذور الثقافية التي انحدرت منها رؤوس السهام المعنقة.

وقد لا نجازف اليوم إذا قلنا إن الرؤوس الحادة ورؤوس السهام المجهزة من شظيا حجرية المرققة من الجهتين من ضمنها رؤوس السهام المعنقة التي يعثر عليها أحيانا في فلسطين، مثل أدوات «جبعة هفرسة» Giv'atha-parsa (Olami, et. al: 1979: pl. 4:2) دخيلة على المجتمع الفلسطيني بكل تأكيد، وربما تكون هي الأخرى حصيلة لذلك التماس الثقافي الذي شمل أيضا أجزاء في الجانب الآسيوي، غير أن حدوثه في هذه الحالة بالذات كان في وقت متأخر عنه في الجانب الأفريقي، ومن أقرب الاحتمالات في هذا الشأن أن أدوات «جبعة هفرسة» اتخذت صحراء سيناء طريقا لها في الوصول إلى أرض فلسطين.

د. عبدالرزاق أحمد راشد المعمري - قسم الآثار - جامعة صنعاء - صنعاء - الجمهورية اليمنية

الهوامش

١ - هذه المسائل ومسائل أخرى عرضت بقدر ما في ما يلي : دراسة (Rashed: 1993b: 1993c) حققها أ.د./ أمير خانوف من جامعة موسكو ومعهد الآثار- أكاديمية العلوم الروسية، وعمل آخر "العصر الحجري الحديث في جنوبي الجزيرة العربية " ، راجعه أمير خانوف وأ.د./ أنيكوفيتش من معهد تاريخ الثقافة المادية - أكاديمية العلوم الروسية، بعدها سلم العمل المذكور لدار النشر (سانكت - بطرسبورج للدراسات الشرقية)بهدف إصداره إلا أنه وبعد أن وافت المنية بطريقة محزنة د./ جرز نيفتش منظم ورئيس البعثة الآثارية اليمنية السوفياتية المشتركة أصبح الأمل ضعيفا في أن يصدر ذلك الكتاب إلا إذا دفعت تكاليف النشر، وقد قمت بنشر مقالة تعتبر خلاصة له (المعمري : 1995 : 98112).

٢ - المسحف : أثر الفلقة المستخرجة من النواة (لوحة : 1 شكل : 5,2,1)، ذلك ما يمكن تتبعه في حالتين: الحالة الأولى على النواة مباشرة والحالة الثانية على الفلقات نفسها فكل فلقة استخرجت من النواة لا بد وأن تحمل جهتها الأمامية آثارا للفلقات السابقة لها عدا الفلقات الأولية التي تحمل جهاتها الأمامية قشفة النواة وهى في العادة فلق قليلة العدد.

٣ - المؤنة : هي المادة الحجرية التي يقع عليها الاختيار كي تحول التشذيب إلى أداة، وهي في الغالب فلقة من الفلق المنتزعة من النواة.

٤ - الفرق بين الأعناق والأذناب والأزجة عند الرؤوس الحادة والرؤوس السهام هو كالآتي : الرؤوس المعنقة هي التي تنتهي أبدانها بأكتاف واضحة يبدأ من عندها عقب التثبيت، وهو العقب الذي يمكن لنا وصفه في هذه الحالة بالعنق ويمكن أن تسمى برؤوس السهام المكتفة أو (المجنحة)، أما الرؤوس المذنبة فهي التي تنتهي بأطراف للتثبيت دون أكتاف واضحة، وفي هذه الحالة يمكن أن تسمى هذه الأعقاب بأذناب لا أعناق، الرؤوس الحادة ورؤوس السهام ذوات الأزجة فهي التي تنتهي بأعقاب) إسعاف أو أذيال (طويلة قد تصل إلى أكثر من طول البدن ولسان الرأس وأحيانا إلى أكثر من ضعفيهما معا.

المراجـــع

أولاً : المراجع العربية

أبو درك، حامد، عبدالجواد مراد، محمد البراهيم ١٩٨٤م "الاستكشافات والتنقيبات الأثرية في موقع الثمامة الذي يرجع تاريخه إلى العصر الحجري الحديث". **أطلال**، ٨ : ٩٧-١٠٣.

المعمري، عبدالرزاق أحمد راشد ١٩٩٥، "العصر الحجري الحديث في جنوب الجزيرة العربية". **الثقافة**، العدد ٢٠ : ٩٨-١١٢.

المعمري، عبدالرزاق أحمد راشد١٩٩٦"مخلفات أثرية لإنسان ما قبل التاريخ في حوض صنعاء" . **الندوة العلمية الأولى للآثار اليمنية**، الجزء الأول، صنعاء. ٨٧-١٢٠.

ثانياً : المراجع غير العربية

Adams, P. McC., P. Parr M. Ibrahim and A.Al-Mughanam, 1977. "The preliminary report on the first phase of the comprehensive Archaeological Survey Program". **Atlal,** : 21-40.

Amirkhanov, H.A.,1991. **Palieolit Yuzhnoi Aravii.** Moskva.

Amirkhanov, H.,1994. "Research on the Palaeolithic and Neolithic of Hadramaut and Mahra". **Arabian Archaeology and Epigraphy** 5: 217-228.

Bader, N.O., 1989. Earliest cultivators in Northern Mesopotamia. The Investigations of Soviet Archaeological Expedition in Iraq at Settlements Tell Magzaliya,Tell Sotto, Kul Tepe. Moscow.

Bar-Yosef, O.,1980. "A human figurine from a Khiamian site in the Lower Jordan Valley".- **Paleorient**, p. 193-199.

Bryan, A.L., 1978. Early Man in America from A circum-pacific perspective. Archaeological Researches International. Ltd, May.

Bunker, D.G.,1953. "The Southwest Borderlands of th Rub al-Khali". **Geographical Journal.**, Vol. CXIX: 420-430.

Caton-Thompson, G. Gardner and E.W. 1934. **The Desert Faym**. London.

Caton-Thompson, G. 1954. "Some Palaeolithic from South Arabia". **Proceeding of the Prehistorics Society.** New series, London, December, vol. 19 : 189-218.

Cauvin, M.-C. 1974a. "Outillage Lithique et chronologie a tell Aswad (Damascene - Syrie)". **Paleorient**, vol. 2: 429-436.

Cauvin, M.-C. 1974b. "Fleches a Encoches de Syria: Essai de classification et d'interpretation culturelle". **Paleorient**, vol. 2 : 311-322.

Cauvin, M.-C.,1979."Tello el'origine de la Houe au Proche-Orient". **Paleorient**, 5 : 193-206.

Copeland, L. 1979. "Observation on the prehistory of the Balikh Valley, Syria, during the 7th to 4th Millennia B.C". **Paleorient**, 5 : 251-275.

De Maigret, A. 1990. **The Bronze Age Cultures of Hawlan at-Niyal and Al Hada** (Republic of Yemen).IsMEO, Rome.

Di Mario, F. 1990."The bronze Age Lithic industry". The Bronze Age Culture of Hawlan At-Tiyal and Al-Hada. Is MEO Rome, pp.81-114.

Dostal, W. 1968."Zur Megalithfrage in Sudarabien". **Festschrift fur Werner Caskel zum Geburtstag**. Herausgegeben Erwin Graf. Leiden, pp.53-62.

Fedele F.G.,1984."Neolithic period". **East and west**, 34(4): 431-437.

Fedele, F.G. 1985. "Research on Neolithic and Holocene paleoecological Activities in the Yemen highland". **East and west,** 35(4): 369-373.

Fedele, F.G. 1986. "Neolithic and protohistoric culture". **East and west,** 6(4): 396-400.

Fedele, F.G. 1988. "North Yemen: The Neolithic in Yemen". **Yemen: 3000 years of Art and Civilization in Arabia Felix.** Innsburg-Frankfurt/Main, pp.34-41.

Field, D.Sc.,1955. "New Stone age Sites in the Arabian Peninsula". **Man,** 144 -145: 136 -138.

Glob, P.V. 1954."Flintpladser i Bahrains Orken". **KUML**, pp.106-115.

Ingraham, M.L. T.D.Johnonson. T.D.B.Rihani and Shatla, 1981. "Preliminary report on a reconnaissance survey of the northwestern province (with a note on a brief survey of the northern province)". **Atlal**, 5 : 59-84.

Inizan, M.-L. 1980 "Sur les industries a lames de Qatar". **Paleorient**, 6 : 233-236.

Inizan, M-L. 1988. **Prehistoire a Qatar. Mission Archaeologigue Francaise a Qatar.** Edition rechercher sur les Civilisation. Paris.

Kapel, H.,1965. "Stenalderfund fra Qatar". **KUML**, pp.112-155.

Kapel, H. 1967. **Atlas of the Stone Age Cultures of Qatar.** Jutland Archaeological society Publication, vol.VI, Denmark.

Masry, A. 1974. **Prehistory in the Northeastern Arabia: the Problem of Interregional Interaction.** Field Research Projects. Miami.

McClure, H.A. 1971. **The Arabian Peninsula and Prehistoric Population.** Miami Research Project, Study No. 58, Miami.

McClure, H.A. 1976."Radiocarbon chronology of late Quaternary lakes in the Arabian Desert". **Nature**, 263 : 755.

McClure, H.A. 1978. "Ar Rub' Al Khali". In Quaternary period in Saudi Arabia. Saad Al-Sayari and Josef G.Zotl (eds). Wien, New -York, pp.252-262.

Nielsen, V. 1962. "Mesolithske frintpladser i Qatar". **KUML**, pp.169-184.

Olami, Y. F.Burian, and E. Friedman 1977. "Giv'at Ha-parsa - a Neolithic site in the coastal region". Archaeological, Historical and Geographical Studies, vol.30, Israel Exploration Society, Jerusalem, p.34-47.

Parr, P.J.Zarins J., Muhammad Ibrahim, Waechter J.,Garrard P.,Clark Ch.,Bidmead M., Hamad al-Badr, 1978. "Preliminary Report on the Second Phase of the Northern Province Survey". **Atlal**, vol.2: 29-49.

Rashed, A.A. 1993a. "On the patinization of the neolithic tools from the South Arabia (the materials of al-Abr region)". **Russian Archaeology,** 2: 24-33.

Rashed, A.A. 1993b. Nieolit Yuzhnoi Aravii (tekhiko-tipologicheskii analiz kamennogo inventarya). Aftoreferat dissertatsii na soiskanie uchyohnoi stepeni kandidata istoricheskih nauk. Sankt-Peterburg.

Rashed, A.A. 1993c. Nieolit Yuzhnoi Aravii (tekhiko-tipologicheskii analiz kamennogo inventarya). Dissertatsiya na soiskanie uchyohnoi stepeni kandidata istoricheskih nauk. Sankt-Peterburg.

Smith, G.H. 1977. "New prehistoric sites in Oman". **JOS**, 3(1) : 71-81.

Tosi, M.B. 1986."Survey and excavation on the Coastal Plain (Tihamah)". **East and West** 36(4): 400-414. (December), p.400-414.

Turner E. and T.R Hester 1985. **A field Guide to Stone Artefacts of Texas Inpains.** Texas Monthly press.

Zarins, J. Mohammad Ibrahim, Potts D., Edens Ch., 1979. "The Preliminary Report on the third Phase of the CASP - the Central provinc". **Atlal,** 3: 9-42.

Zarins J., Whalen M., Mohammad Ibrahim, Abd Al-Jawad Morad, Majid Khan, 1980. "The Preliminary report on the Central and Southwestern Provinces Survey, 1979" . **Atlal** 4: 9-36.

Zarins, J.Abd Al-Jawad Murad, Khalid S. Al-Yish, 1981. "The second Preliminary Report on the Southwestern Province". **Atlal** 5: 9-42.

Zeuner, F.E.,1954. "Neolithic' site from the Rub-Al-Khali, Southern Arabia". **Man** 209: 133-136.